# قسم

# الحديث وعلومه

**جامعة الأزهر**
**كلية الدراسات الإسلامية والعربية**
**للبنات بسوهاج**
**قسم الحديث وعلومه**

## شرح حديث

# جوامع أعمال البر وجزاؤها وبيان معيار التفاضل

**إعداد**
**دكتور/عادل محمد أحمد عبد ربه**
أستاذ الحديث وعلومه المتفرغ بالكلية
وعميدها الأسبق

**١٤٤٢هـ ٢٠٢١م**

# شرح حديث جوامع أعمال البر وجزاؤها وبيان معيار التفاضل

**عادل محمد أحمد عبدربه**

**قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهر الشريف ،سوهاج، مصر.**

**البريد الإليكتروني:adelrabbo.٧٩@azhar.edu.eg**

**ملخص البحث**:

**إن السنة النبوية، ملازمة للقرآن الكريم، ولا يمكن فَصْلُ أحدهما عن الآخر، لأن القرآن كليٌّ هذه الشريعة، تضمن العديد من الآداب السامية، ومُثل عليا وتوجيهات راشدة ومبادئ قويمة وقوانين عادلة وتعاليم حكيمة في شتى المجالات من عقائد وعبادات وحدود ومعاملات وفضائل وأخلاقيات ،والسنة بيان وتفصيل لمجمله، وتوضيح لمبهمه، وإذا كان القرآن قد وضع القواعد والأسس العامة للتشريع والأحكام ، فإن السنة قد عنيت بتفصيل هذه القواعد ، وبيان تلك الأسس ، وتفريع الجزئيات، وقد تضمن حديث " جوامع أعمال البر وجزاؤها وبيان معيار التفاضل " جملة من الفضائل وأعمال البر منها: تفريج الكروب عن المؤمنين، والصبر على المعسرين الذين لا يستطيعون الوفاء بالدين الذى عليهم وانظارهم حتى يتيسروا، والستر على المسلم إذا صدرت منه زلة أو هفوة، وذلك صوناُ لكرامته ، وإصلاحا لحاله ، وإجباراً له على سلوكه الطريق المستقيم ومحاصرة لاتساع دائرة الشر في المجتمع، وإقرار مبدأ التعاون والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع حتى يسعى كل فرد من أفراده في حاجة غيره ، بنفسه أو بماله أو بجاهه ، حتى**

**يشعر الجميع أنهم كالجسد الواحد، والترغيب في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، وختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، بهذه العبارة الجامعة لئلا يعتمد بعض الناس على أحسابهم و أنسابهم ويقصرون في العمل فالعبرة في الاسلام بالعمل، لا بالنسب ولا بالحسب، لأن العمل هو الميزان الذى يكون به القبول من عند الله عز وجل، وهو أساس التفاضل ومعياره.**

**الكلمات المفتاحية: جوامع – أعمال البر – جزاؤها– معيار التفاضل.**

# Explaining the modern mosques of the works of land and its parts and the statement of the standard of differentiation

Adel Mohamed Ahmed Abd Rabo
Department of Hadith and Science, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Al-Azhar University, .Sohag, Egypt.
E-mail:adelrabbo.٧٩@azhar.edu.eg

## Abstract:

The Prophet's Sunnah is inherent to the Qur'an, and one cannot be separated from the other, because the Qur'an contains many high morals, high ideals, adult guidance, strong principles, just laws and wise teachings in various fields of beliefs, worships, borders, transactions, virtues and ethics.

The Sunnah is a statement and a detail of its entirety, and an explanation of its vagueness, and if the Qur'an has established the general rules and foundations of legislation and provisions, the Sunnah has been concerned with detailing these rules, the statement of those foundations, and the branching of the particles, and it included the hadith "mosques of the works of righteousness and their parts and a statement The criterion of differentiation " a number of virtues and acts of righteousness, including: the release of distress from believers, and patience for the insolvent who cannot fulfill the religion on them and their attention until they are available, and to cover up the Muslim if there is a slip or a lapse, in order to preserve For his dignity In order to reform his situation, and to force him to follow the

straight path and besiege the widening circle of evil in society, and to establish the principle of cooperation, solidarity and solidarity among the members of society so that each of its members seeks to need others, himself, his money or his face, so that everyone feels that they are like the same body, and desire to ask for knowledge and diligence in his achievement, and the prophet concluded the hadith, in this universal phrase so that some people do not rely on their calculations and genealogy and fail to work as a lesson in Islam at work, neither by proportion nor by calculation, because work Because work is the balance in which acceptance is made by God almighty, and it is the basis and standard of differentiation .

**Keywords**: Mosques - Works of Righteousness - Its Parts - The Standard of Differentiation.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**(١) .

**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾**(٢) .

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾** (٣) (٤).

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠، ٧١ .

(٤) هذه تسمى خطبة الحاجة، أخرجها كل من : مسلم في كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ عن ابن عباس–رضى الله عنه– وأبو داود في سننه، وسكت عنه في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح عن عبد الله بن مسعود ﷺ ٢ / ٥٩١ – ط / دار الحديث – سورية، والترمذي في سننه في كتاب النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح عن ابن عباس–رضى الله عنه–، وقال عقبة ؛ حديث حسن صحيح ٣ / ٤١٣ – ط / دار الكتب العلمية – بيروت، والنسائي في سننه في كتاب الجمعة في باب كيفية الجمعة عن ابن عباس–رضى الله عنه– ٢ / ١٠٨ – ط / الريان للتراث، وأحمد في مسنده عن ابن عباس–رضى الله عنه–١ / ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٣٢ – ط / المكتب الإسلامي – بيروت .

**أما بعد**:

فإن السنة النبوية المطهرة هي الأصل الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل، تُفَصِّل مُجمله وتخصص عامّه، وتقيد مطلقه، وتوضح مُشكله، وتشرح موجزه، وتؤكد ما جاء في القرآن الكريم، فهي تعتبر بمثابة المذكرة التفسيرية لما تضمنه القرآن من آداب سامية ونصائح غالية، ومُثُل عليا وتوجيهات راشدة، ومبادئ قويمة، وقوانين عادلة وتعليمات حكيمة في شتى المجالات من عقائد وعبادات وحدود ومعاملات وفضائل وأخلاقيات تنشرح بمطالعتها ومدارستها الصدور وتستنير بمعرفتها البصائر .

وكيف لا ؟ والدارس لها والمطلع عليها والمشتغل بها كأنما يصحب رسول الله ﷺ في سفره وحضره، سلمه وحربه، مدخله ومخرجه، رضاه وغضبه، يسمع أقواله ويرى أفعاله وأحواله، ويشاهد من أنواره ما يبصره بشئون دنياه وأحوال عاقبته وأخراه .

**إذًا** : فالسنة النبوية المطهرة هي عدة المفسر والفقيه، وخير زاد للداعي والناصح .

وإن المسلم في حاجة ماسة إليها في عقيدته وعبادته ومعاملاته، بل وفي جميع حياته لا يستطيع الاستغناء عنها بحال من الأحوال .

ولما كانت السنة النبوية المطهرة بهذه المنزلة وتلك المكانة أوصى المولى عز وجل بلزومها والحرص عليها وحذَّر من مخالفتها والإعراض عنها، وبيَّن أن ذلك نذير فتنة وعذاب أليم .

قال سبحانه وتعالى :﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1] .

(١) سورة الحشر : من الآية ٧ .

وقال سبحانه وتعالى :﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى :﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾(٢).

من أجل ذلك : فقد عرف السلف الصالح قدرها ومكانتها، فتفانوا في حفظها ورعايتها، فأودعوها الصدور والسطور، وتعاهدوها جيلاً بعد جيل، حريصين كل الحرص على الذب وإبعاد الدخيل عنها وكشف أحوال رواتها ومتونها، لذا فالواجب على من خصه الله عز وجل بخدمة السنة النبوية وبلغ إلى هذه المنزلة أن يبذل جهده في تتبع سنن رسول الله ﷺ وآثاره وطلبها من مظانها والتفقه بها والنظر في أحكامها والبحث عن معانيها والتأدب بآدابها، ويصرف عما يقل نفعه وتبعد فائدته، فتضفي عليه السنة النبوية زينة وجمالاً، وحسنًا وبهاءً، وذلك لأن الاشتغال بالسنة النبوية المطهرة والحرص على التمسك بها والسير على نهجها قربة من أجلّ القربات، ومن أعظم الأعمال، ومن أفضل أنواع الخير، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو مشتمل على بيان حال أفضل المخلوقات ﷺ .

ولقد كان من فضل الكريم المنان عليَّ أن جعلني من خدام سنة رسوله ﷺ وحسبي شرفًا أن أكون كذلك حتى تغشاني بركتها وتمسني نفحة من طيبها تطيب بها الحياة، وتنشرح لها الصدور، ويتحقق بها الرجاء إن شاء الله عز وجل في نيْل شفاعته ﷺ .

---

(١) سورة النور : من الآية ٦٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

**هذا** : ولقد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة شرح حديث من الأحاديث النبوية، وقد أسميتها (**شرح حديث جوامع أعمال البر وجزاؤها وبيان معيار التفاضل**)، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي، وهو كالتالي :

١ – بين يدى الحديث : وفيه أتناول تخريج الحديث والإشارة إلى موضعه الذى يذكر فيه من كتب السنة، تخريجًا تفصيليًّا تامًّا، وذلك بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ودرجة الحديث التي قررها العلماء، فإن كان الحديث في كتب التزم اصحابها إخراج ما صح من الحديث اكتفيت بالعزو إليها، وإن كان في غيرها ذكرت أقوال العلماء في ذلك .

٢ – التعريف برجال الحديث : وفيه أتناول الترجمة الموجزة لكل راوي في إسناد هذا الحديث وبيان درجته التي قررها علماء الجرح والتعديل، أما الراوي الأعلى للحديث فأذكر له ترجمة مفصلة تشتمل نسبه ونسبته وكنيته وبعض الذين روى عنهم وبعض من رووا عنه، وبعض مناقبه ومروياته ووفاته .

٣ – المعنى العام للحديث : وذلك بشرح الحديث شرحًا إجماليًّا .

٤ – المباحث العربية : وذلك بشرح الكلمات وبيان المراد منها مع التعرض لبعض النواحي الإعرابية والبلاغية وذكر ما يترتب على ذلك .

٥ – الشرح والبيان للحديث : وفيه أتعرض لمناقشة القضايا والموضوعات التي يدور حولها متن الحديث وتحليل تلك القضايا معتمدًا في ذلك على أقوال السابقين من العلماء الأجلاء .

٦ – أهم ما يستفاد من الحديث : وهى ثمرة الدراسة التحليلية للحديث .

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يمن علىَّ بنعمة الإخلاص، وأن يوفقني لصالح القول والعمل وأن يتفضل علىّ بنعمة

الرضا وشرف القبول، وأن يتقبل من المقل جهده، وأن ينفعني بهذه الدراسة وطلاب العلم إنه جواد كريم وهو نعم المولى ونعم النصير .

**﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[1] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

**أ . د / عادل محمد أحمد عبد ربه**

**أستاذ الحديث وعلومه**

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٨٦ .

# جوامع أعمال البر وجزاؤها وبيان معيار التفاضل

## نص الحديث:

قال الإمام مسلم – رحمه الله – حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، وأبو بكر بن أبى شيبة، ومحمد بن العلاء الهمداني، واللفظ ليحيى قال يحيى : أخبرنا وقال الآخران حدثنا ابو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ** " .

**أولاً** : **بين يدى الحديث** :

**أ - تخريج الحديث** :

الحديث أخرجه كل من :

١ – الإمام مسلم واللفظ له في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن – حديث رقم ٢٦٩٩، عن أبى هريرة ﷺ [(١)] . وأخرجه الإمام مسلم أيضًا في كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم – حديث رقم ٢٥٨٠ عن ابن عمر –رضى الله عنه– [(٢)] .

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ١٧ / ٣٤ – ط / مؤسسة قرطبة .

(٢) المرجع السابق ١٦ / ٢٠٣ .

٢ – الإمام أبو داود بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب الآداب – باب في المعونة للمسلم – حديث رقم ٤٩٤٦ عن أبى هريرة ﷺ [١] .

٣ – وأخرجه بلفظ الإمام مسلم كل من:

أ – الإمام الترمذي بلفظ الإمام مسلم في كتاب القراءات – باب رقم ١٢ حديث رقم ٢٩٤٥ عن أبى هريرة ﷺ، وقال هكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبي ﷺ مثل هذا الحديث، وروى أسباط بن محمد عن الأعمش قال : حدثني عن أبى صالح عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، فذكر بعض هذا الحديث [٢] .

ب – وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في أبواب البر والصلة – باب ما جاء في السترة على المسلم، حديث رقم ١٩٣٠ عن أبى هريرة ﷺ، وقال عقبة : هذا حديث حسن [٣] .

ج – وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب العلم – باب فضل طلب العلم – حديث رقم ٢٦٤٦ عن أبى هريرة ﷺ، وقال عقبه هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه [٤] .

د – وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب الحدود – باب ما جاء في الستر على المسلم – حديث رقم ١٤٢٥ عن أبى هريرة ﷺ، وقال عقبه حديث أبى هريرة هكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ [٥] .

---

(١) سنن أبى داود ٤ / ٢٨٧ – ط / دار الفكر – بيروت – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، وطبعة / الريان للتراث .

(٢) سنن الإمام الترمذى ٥ / ١٩٥ – ط / دار الحديث .

(٣) المرجع السابق ٤ / ٣٢٦ .

(٤) المرجع السابق ٥ / ٢٨ .

(٥) المرجع السابق ٤ / ٣٤ .

٤ – الإمام النسائي بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب الرجم – باب الترغيب في ستر العورة – حديث رقم ٢٨٤ عن أبى هريرة ﷺ [١] .

٥ – الإمام ابن ماجه بلفظ الإمام مسلم في كتاب السنة – باب فضل العلماء والحث على طلب العلم – حديث رقم ٢٣٥ عن أبى هريرة ﷺ [٢] .

٦ – الإمام أحمد بلفظ الإمام مسلم مع تقديم وتأخير في مسند أبى هريرة ﷺ [٣] .

٧ – الإمام الدارمي بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب المقدمة – باب فضل العلم والعالِم – حديث رقم ٣٥٠ عن أبى هريرة ﷺ [٤] .

٨ – الإمام البيهقي بلفظ الإمام مسلم في فضل العلم وشرف مقداره – حديث رقم ١٦٩٥ عن أبى هريرة ﷺ [٥] .

٩ – الإمام ابن حبان بلفظ الإمام مسلم مختصرًا في كتاب البر والإحسان – باب الرحمة – ذكر تفريج الله جلّ وعلا الكرب يوم القيامة عمن كان يفرج الكرب في الدنيا عن المسلمين – حديث رقم ٥٣٥ عن أبى هريرة ﷺ [٦] .

---

(١) السنن الكبرى للإمام أبى عبد الرحمن بن أحمد النسائى – تحقيق د / عبد الغفار سليمان البندارى ٤ / ٣٠٨ – ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢) سنن ابن ماجه ١ / ٨٢، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى – ط / دار الفكر – بيروت .

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢ / ٢٥٢ – ط / دار صادر – بيروت – الطبعة الميمنية .

(٤) سنن الإمام الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي – تحقيق د / مصطفى ديب البغا ١ / ١٠٥ – ط / دار القلم – دمشق .

(٥) شعب الإيمان للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي بتحقيق أبى هاجر محمد السيد بن بسيوني زغلول ٢ / ٢٦٢ – ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٦) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لعلاء الدين على بن بليان الفارسي ١ / ٣٧٤ – ط / دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠ – الإمام البغوي بلفظ الإمام مسلم في كتاب العلم – باب فضل العلم عن أبى هريرة ﷺ [١] .

١١ – الإمام الطبراني بلفظ مختلف عن أبى هريرة ﷺ، وقال الإمام الطبراني : لم يروه عن الأوزاعي إلا محمد بن مصعب تفرد به العلاء بن سلمة [٢]

**شواهد الحديث** :

١ – له شاهد عند الإمام أبى داود من حديث أبى الدرداء ﷺ في كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم – حديث رقم ٣٦٤١ عن أبى الدرداء ﷺ [٣] .

٢ – له شاهد أيضًا عند الإمام الترمذي من حديث ابن عمر ﷺ في كتاب الحدود، باب في الستر على المسلم، حديث رقم ١٤٢٦ وقال حديث حسن صحيح غريب [٤]. وله شاهد ايضًا عند الإمام الترمذي من حديث أبى الدرداء ﷺ في كتاب العلم – باب ما جاء في فضل الفقه على العباد، حديث رقم ٢٦٨٢ وقال عقبه ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بت رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل [٥] .

٣ – له شاهد أيضًا عند الإمام ابن ماجه من حديث أبى الدرداء ﷺ في كتاب المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم – حديث رقم ٢٢٣[١]

---

(١) شرح السنة للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق / شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش ١ / ٢٧٢، ٢٧٣ – ط / المكتب الإسلامي .

(٢) المعجم الأوسط للإمام الطبرانى بتحقيق أ . د / محمود الطحان ٤ / ٣٨٦ .

(٣) سنن أبى داود ٣ / ٣١٦ – ط / دار الريان للتراث – القاهرة .

(٤) سنن الإمام الترمذى ٤ / ٣٤، ٣٥ .

(٥) المرجع السابق ٥ / ٤٨، ٤٩ .

(١) سنن الإمام ابن ماجه ١ / ١٨ .

٤ – له شاهد عن الإمام الدارمي من حديث ابن عباس–رضى الله عنه– في كتاب المقدمة – باب في فضل العلم والعلماء – حديث رقم ٣٥١ (١) .

وله شاهد أيضًا عند الإمام الدارمي من حديث ابن عباس–ﷺ– في كتاب المقدمة – باب في فضل العلم والعالم – حديث رقم ٣٢٦ (٢) .

٥ – له شاهد عند الإمام الطبراني من حديث كعب بن عجرة ﷺ – حديث رقم ٣٥٠ (٣) .

**ثانياً** : **التعريف برجال الحديث** :

**١ - يحيى بن يحيى التميمي** :

**هو** : يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي الحنظلي .

**روى عن** : أزهر بن سعد السمان، وأبى معاوية محمد بن خازم، وهشيم ابن بشير، وغيرهم .

**وثقه** : أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، والنسائي، وابن حبان، وأبو زرعة، قال ابن حجر في التقريب : ثقة ثبت إمام، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومائتين .

**روى له** : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي (٤) .

**٢ - أبو بكر بن أبى شيبة** :

**هو** : عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستى العبسي، مولاهم، أبو بكر بن أبى شيبة .

---

(١) سنن الإمام الدارمى ١ / ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ١ / ١٠٧ .

(٣) المعجم الكبير للإمام الطبراني بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ١٩ / ١٥٨ – مكتبة المتنبي .

(٤) تهذيب الكمال ٣٢ / ٣١، والجرح والتعديل ٩ / ١٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٥١٢

**روى عن** : أحمد بن إسحاق الحضرمي، وابى معاوية محمد بن خازم، ومحمد بن سابق، وغيرهم .

**روى عنه** : البخاري ومسلم، وأبو داود، وغيرهم .

**وثقه** : العجلى، وأبو حاتم، وابن خراش، وقال أحمد بن حنبل : صدوق ووثقه الفلاس وابن حبان، قال ابن حجر في التقريب : ثقة حافظ، صاحب تصانيف، من العاشرة، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين .

**روى له** : البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه [١] .

**٣ - محمد بن العلاء الهمداني** :

**هو** : محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي .

**روى عن** : إسماعيل بن صبيح، وهشيم بن بشير، ويحيى بن آدم، وغيرهم .

**روى عنه** : الجماعة وغيرهم .

**وثقه** : النسائي، وقال أبو حاتم : صدوق .

قال في التقريب : ثقة حافظ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين، روى له الجماعة [٢] .

**٤ - أبو معاوية** :

**هو** : محمد بن خازم التميمي السعدى الكوفي .

**روى عن** : عاصم الأحول، والأعمش، وحجاج بن أرطأة، وغيرهم .

**روى عنه** : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة، ويحيى بن يحيى، وأبو كريب محمد بن العلاء، وغيرهم، قال أحمد بن حنبل : كان

---

(١) تهديب الكمال ١٦ / ٣٤، وسير أعلام النبلاء ١١ / ١٢٢، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٢، والجرح والتعديل ٥ / ١٦٠، وتاريخ الثقات ص ٢٧٦ .

(٢) تهذيب الكمال ٢٤٣/٢٦، الجرح والتعديل ٥٢/٨، الثقات ٩/ ١٠٥، التقريب ٢/ ٢٠٦ .

أبو معاوية إذا سئل عن أحاديث الأعمش يقول : قد صار حديث الأعمش في فمي علقمًا أو هو أمرّ من العلقم لكثرة ما يردد عليه حديث الأعمش، وقال في حديث غير الأعمش مضطرب لا يحفظها حفظًا جيدًا، قال العجلى : كوفي ثقة، وكان يرى الإرجاء، وكان ليِّن القول، يعنى فيه .

قال يعقوب بن شيبة : كان من الثقات، وربما دلس، قال النسائي : ثقة، قال ابن خراش : صدوق وهو في الأعمش ثقة وفي غيره فيه اضطراب، قال ابن حجر في التقريب : ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش وقد يهم في حديث غيره، من كبار التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وقد رمى بالإرجاء، روى له الجماعة [1] .

**٥ - الأعمش** :

**هو** : سليمان بن مهران الأسدي، مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش .

**روى عن** : أبان بن أبى عياش، وابى صالح السمان، وقيس بن أبى حازم، وغيرهم .

**روى عنه** : أبو معاوية محمد بن خازم، ووكيع بن الجراح، وهريم بن سفيان، وغيرهم .

**وثقه** : ابن عمار، والعجلى، ويحيى بن معين، والنسائي، والذهبي، قال ابن حجر في التقريب : ثقة حافظ عارف بالقراءة، ورع، ولكنه يدلس، من الخامسة، مات سنة سبع وأربعين أو ثمان، وكان مولده سنة إحدى وستين، روى له الجماعة [1] .

---

(١) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٢٣، وتاريخ الثقات ص ٤٠٣، والجرح والتعديل ٧ / ٢٤٦، وطبقات ابن سعد ٦ / ٣٩٢، والتقريب ٢ / ١٦٦ .

(١) تهذيب الكمال ١٢ / ٧٦، والجرح والتعديل ٤ / ١٤٦، وتاريخ الثقات ص ٢٠٥، والثقات ٤ / ٣٠٢، والكاشف ١ / ٤٦٤، والتقريب ١ / ٣١٩ .

**٦ - أبو صالح** :

**هو** : ذكوان أبو صالح السمان الزيات المضنى، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني، كان يجلب السمن والزبد إلى الكوفة .

**روى عن** : جابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وسعد بن أبى وقاص، وغيرهم .

**روى عنه** : إسماعيل بن أبى خالد، والأعمش، وطلحة بن مصرف، وغيرهم .

**وثقه** : أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة، وابن سعد، والعجلى، والذهبي، وقال ابن حجر في التقريب : ثقة ثبت، من الثالثة، مات سنة إحدى ومائة، روى له الجماعة [١] .

**٧ - أبو هريرة** ﷺ :

**اسمه** : عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر، هذا اسمه في الإسلام، أما اسمه في الجاهلية فقد اختلف في اسمه واسم أبيه إلى أقوال كثيرة منها أنه كان اسمه : عبد الله بن عبد شمس، وقيل ابن عبدونهم، وقيل : بريد بن عشرقة، وقيل : عبد الله عبد الله بن عامر .

قال ابن عبد البر : وقد اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كثيرًا على نحو ثلاثين قولاً[٢] والذى كان عليه أكثر المحدثين أن اسم عبد الرحمن بن صخر .

**كنيته** : أبو هريرة، اشتهر بها، وغلبت على اسمه حتى كاد أن ينسى، ولقد سئل ﷺ لم كنيت بذلك ؟ فقال ﷺ فيما أخرجه الترمذي بسنده عن عبد الله ابن أبى رافع قال: قال لأبى هريرة لم كنيت بأبي هريرة ؟ قال : أما تفرق منى؟ قلت : بلى والله إني لأهابك، قال : كنت ارعى غنم أهلي،

---

(١) تهذيب الكمال ٨ / ٥١٣، وطبقات ابن سعد ٦ / ٢٢٦، والجرح والتعديل ٣ / ٤٥٠، والكاشف ١ / ٣٨٦، والتقريب ١ / ٢٣٥ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٤ / ٢٠٢، ط / دار الغد العربي .

فكانت لي هرّة صغيرة فكنت أضعها في الليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة [١] .

وقيل : إن الذى كناه بذلك هو النبي ﷺ، يدل على ذلك ما جاء عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح أن أبا هريرة كان يقول : كان النبي ﷺ يدعوني أبا هر [٢] .

**نسبته** : الدوسي نسبة إلى دوس بفتح الدال وسكون الواو وآخره سين مهملة ابن عدثان بضم العين وسكون الدال المهملة بعدها ثاء مثلثة– ابن عبد الرحمن بن زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصير بن الأزد[٣] .

أما تصال نسبه بدوس، فقال خليفة بن خياط : ابو هريرة هو عمير بن عامر بن هبيد ذي الشرى بن طريف بن عتاب بن أبى صعب بن منبه بن سعيد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس [٤] .

**إسلامه** : قدم أبو هريرة ﷺ مهاجرًا من أرض اليمن إلى المدينة المنورة ليالي فتح خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة وشهدها مع النبي ﷺ، وكان قد أسلم على يدى الطفيل بن عمرو في اليمن، فقد ورد عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : قدمت ورسول الله ﷺ بخيبر سنة سبع وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، قال أبو عمر : أسلم أبو هريرة عام خيبر ثم لزمه وواظب

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب – باب مناقب أبى هريرة ﷺ – حديث رقم ٣٨٤٠ عن عبد الله بن رافع ﷺ، وقال عقبه : هذا حديث حسن غريب ٥ / ٦٨٦ ، ط / دار الحديث بالقاهرة .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٣، ونهاية الأدب ص ٢٣٥ .

(٤) طبقات خليفة ص ١١٤ .

رغبة في طلب العلم راضيًا بشبع بطنه، كانت يده مع الرسول ﷺ وكان يدور معه حيث دار [١] .

**مناقبه** : كان أبو هريرة ﷺ شديد الحب لرسول الله ﷺ ويصرح بحبه فيقول : " يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقَرَّت عيني " [٢] .

وقد استولى عليه هذا الحب بكليته، حتى إنه كان يفضل سماع الحديث الواحد من فم الرسول ﷺ أو من أفواه كبار الصحابة على ألف ركعة فيقول : " باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة " [٣] .

كان ﷺ بارًا بأمه حيث تمنى إسلامها وكان سببًا في ذلك، قال ﷺ : " كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت الرسول ﷺ وأنا أبكى، فقلت : يا رسول الله إنى كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما

أكره، فادعُ الله أن يهدى أم أبى هريرة، فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمِعَتْ أمي خسف قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء قال : فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله، قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكى من الفرح قال : قلت : يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا [١] .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ٤ / ٢٠٤ ط / دار الغد العربي .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد ٢ / ٣٢٣، والحاكم في المستدرك ٤ / ١٦٠ بسند صحيح، واقره الذهبي، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للبزار وحكم على إسناده فقال رجاله رجال الصحيح ٩ / ٣٦٢ .

(٣) أخرجه البخاري معلقًا في التاريخ الكبير ٤ / ق ٢ ص ٢١٢ .

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى هريرة ﷺ، حديث رقم ٢٤٩١ – ١٦ / ٧٦، ٧٧ .

**مروياته** : لقد كان ﷺ أكثر الصحابة رواية للحديث، فليس لأحد من الصحابة مثل ما روى ولا ما يقاربه، بلغت مروياته ٥٣٧٤ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا، اتفق الشيخان البخاري ومسلم ٣٢٥ ثلاثمائة وخمسة وعشرون حديثًا، وانفرد البخاري بـ ٩٣ ثلاثة وتسعين حديثًا، وانفرد مسلم بـ ١٨٩ مائة وتسعة وثمانين حديثًا، واكثر الصحابة حديثًا، فليس لأحد من الصحابة هذا القدر، ولا ما يقاربه .

**هذا** : ولقد توفرت لأبى هريرة ﷺ عدة أمور كانت سببًا في تفوقه في الرواية وكثرة مروياته مع قصر مدة صحبته لرسول اللهﷺ ومن أهم هذه الأمور:

**أولاً** : أنه ﷺ منذ أن قَدِم مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ لازمه في حضره وسفره وغزواته وحجه، وواظب ﷺ على حضور مجالسه ﷺ، وكان شديد الحرص على تلقى الحديث عن رسول الله ﷺ والاستفادة منه، ومما أعانه على التفرغ لذلك أنه كان فقيرًا، ولم يكن له ما يشغله عن طلب العلم وتحصيله، يدل على ذلك ما روى عنه أن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون[١] .

**ثانياً** : دعاء النبي ﷺ له بالحفظ وعدم النسيان، ومما يدل على ذلك : ما أخرجه الحاكم عن زيد بن ثابت قال : كنت أنا وأبو هريرة وآخر عن النبي ﷺ فقال ادعو، فدعوت أنا وصاحبي وأمَّن النبي ﷺ ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحبي وأسألك علمًا لا يُنسى فأمَّن النبي ﷺ فقلنا : ونحن يا رسول الله كذلك، قال : سبقكما الغلام الدوسي "[١] .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم – باب حفظ الحديث – حديث رقم ١١٨ عن أبى هريرة ﷺ ١ / ٣٦١، ٣٦٢ .

(١) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في كتاب معرفة الصحابة دعاء أبى هريرة بعلم لا ينسى وتأمين النبي ﷺ ٣ / ٥٠٨ .

**ثالثاً** : ما تميز به أبا هريرة ﷺ من قوة ذاكرة وحفظ وحسن ضبط، وخاصة بعد أن دعا له الرسول ﷺ بالحفظ وعدم النسيان فكان حافظًا متقنًا ضابطًا لما يرويه .

ومما يدل على ذلك : ما روى أن مروان قد امتحن أبا هريرة ذات يوم في دقة حفظه روى أبو الزعيزعة كاتب مروان قال : بعث مروان إلى أبى هريرة وأجلسني من وراء الستر فجعل يسأله وأنا أكتب حتى كتب حديثًا كثيرًا فتركه ستره ثم ارسل إليه وأجلسني وراء الستر، فجعل يسأله وأنا أنظر في الكتاب فما زاد وما نقص [١]، وفي رواية ولا قدَّم ولا أخَّر [٢] فهذه القصة تدل على قوة حفظه وإتقانه كما شهد له الصحابة، والتابعون وغيرهم بذلك .

**رابعاً** : أدرك أبو هريرة ﷺ كبار الصحابة وروى عنهم الكثير من الأحاديث.

**خامساً** : امتداد عمره ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ حيث عاش بعده نحو سبعة وأربعين عامًا وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ يحدث الناس فيها بالأحاديث فساعد ذلك على انتشار مروياته وتداولها .

كل هذه الأمور وغيرها أتاح لأبى هريرة ﷺ أن يتفوق في الرواية ويصير أكثر الصحابة رواية للحديث تحملاً وأدا .

**وفاته** : اختلف في سنة وفاة أبى هريرة ﷺ، والأشهر الذى قاله كثير من العلماء أنه توفي سنة ٥٩ هـ، وقيل ٥٧ هـ سبع وخمسين، وقيل سنة ٥٨ هـ ثمان وخمسين، وكان عمه نحو ٧٨ سنة ثمن وسبعين عامًا، وكانت وفاته بالعقيق، الوادي المجاور للمدينة وحمل إلى المدينة، فصلى

---

(١) الكنى للإمام البخاري ص ٣٣ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في كتاب معرفة الصحابة – باب كان أبو هريرة حريًّا على النبي ﷺ ٣ / ٥١٠ بسند صحيح، وأقره الذهبي .

عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ودفن ﷺ بالبقيع [١] .

**اعتراض بعض الحفاظ على الإمام مسلم في تخريجه الحديث والجواب عليه** :

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : هذا الحديث أخرجه مسلم من رواية الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، واعترض عليه غير واحد من الحفاظ في تخريجه، منهم : أبو الفضل الهروي، والدارقطنى، فإن أسباط بن محمد رواه عن الأعمش قال : حدثت عن ابى صالح، فتبين أن الأعمش لم يسمعه من أبى صالح، ولم يذكر من حدَّثه عنه، ورجح الترمذي وغيره هذه الرواية [٢] .

**الجواب** :

وجه الاعتراض على الإمام مسلم، وذلك أنه بعد أن أورد الحديث من رواية الأعمش عن أبى صالح، اورده عقبه بما يفسر هذه العنعنة، وقال : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبى، وحدثنا نصر بن على الجهنمي، حدثنا أبو أسامة، قالا : حدثنا الأعمش، حدثنا ابن نمير عن أبى صالح، وفي حديث أبى أسامة، حدثنا أبو صالح، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ بمثل حديث ابى معاوية، غير أن حديث أبى أسامة ليس فيه ذكر التيسير على المعسر .

---

(١) الاستيعاب ٤ / ٢٠٤، واسد الغابة ٦ / ٣١٨، والإصابة ١٢ / ٢٦٢، ولمزيد من التعرف على ترجمته يراجع : ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / قسم ٢ ص ٥٢، ٦٤، وتهذيب الكمال ٣٤ / ٣٦٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٥٧٨، وتذكرة الحفاظ له أيضًا ص ٤٢، وأسد الغابة ٦ / ٣١٨، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٢ ٢٦٢، والحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو ص ١٣٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم للحافظ زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٤٠٦ – ط / دار الحديث .

**المستفاد من صنيع الإمام مسلم والإمام الترمذي** :

١ – أن الكثير قد رووا هذا الحديث عن الأعمش عن أبى صالح بلا واسطة بينهما.

٢ – أن إطباق هؤلاء على رواية الحديث بدون واسطة بين الأعمش وأبى صالح قاض بأن الأعمش قد سمع هذا الحديث من أبى صالح دون واسطة .

٣ – أن رواة الصحيح لو شاموا في الحديث برق تدليس ما أوردوه في كتبهم، فكيف وهو موجود في صحيح مسلم .

٤ – أن ما أورده من تحديث الأعمش بالحديث عن أبى صالح بواسطة صحيح أيضًا بدليل تفسير مسلم لذلك، وإيضاحه بأن المحدث للحديث عن أبى صالح للأعمش إنما هو ابن نمير .

٥ – أنه إذا أورد الحديث بالواسطة بين الراويين مرة يصرح فيها بالتحديث، وبدونها مرة أخرى بالعنعنة، فلا يعنى هذا دائمًا أن في الحديث تدليسًا أو انقطاعًا سيما إذا كانت رواية العنعنة من طريق الكثرة أو رواة الصحيح

٦ – أنه إذا كان الأمر كذلك فقد صح الأمران معًا أن الأعمش رواه عن طريق ابن نمير عن أبى صالح، وأنه رواه عن أبى صالح، ومتى صحت الروايتان فقد وجب التوفيق، وقد كفانا ذلك المبارك فورى في شرحه للترمذي[١] .

حيث قال تعليقًا على الحديث ورواية الأعمش : حدث عن واسطة ولم يسمع هذا الحديث منه ولم يذكر من حدثه عنه (وقد عرفنا من مسلم أنه ابن نمير) .

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٣ / ١٢٤ .

وهذا يدل على أن الأعمش سمع هذا الحديث من أبى صالح بغير واسطة، فالتوفيق أن الأعمش رواه عنه بواسطة ثم لقيه فسمعه من غير واسطة [١] .

**ثالثاً** : **المعنى العام** :

إن من المعلوم الثابت المقطوع به أن الإسلام الحنيف دين الله عز وجل جاء لإصلاح الحياة، وقيادة مسيرتها على طريق الخير والحب، ولقد أراد الله عز وجل لهذا الدين العام الخالد أن يكون المنهاج الكامل للحياة الفاضلة، فأقام العلائق بين الناس جميعًا، على أساس من التراحم والتكافل، وجعل المحبة هي الرباط الأول والأوثق في حياة البشرية، والخير في نظر الإسلام إنما هو غاية الغايات في هذه الحياة، والمقصد الأعظم لجميع العبادات الطى شرعها الله عز وجل للناس .

**هذا** : والرسول ﷺ لا يريد أن يعرفنا الخير تعريفًا نظريًّا فلسفيًّا ؛ لأن ذلك يجعل مفهومه حائرًا غامضًا في أذهان المسلمين، ولكنه يأخذ بأيدينا إلى مجالات الخير، ويرشدنا إلى أبوابه المتعددة في هذه الحياة، ففي هذا الحديث النبوي الشريف يقرر ﷺ أعظم أصل من أصول الحياة الفاضلة، وأقوم مبدأ من مبادئ الإصلاح الإنساني العام ألا وهو مبدأ التراحم، والتكافل الاجتماعي، فيضع ﷺ الأساس الذى تقوم عليه المعاملات بين الناس، ويوضح الأسلوب الذى تعالج به الواجبات تجاه العلاقات الإنسانية، فهو ﷺ يجعل الصلة بين الناس تستمد خصائصها من منابع صافية نقية لا تكدرها شوائب المادة، ولا تزجيها الأطماع والمنافع، ولكن

---

(١) هامش جامع العلوم والحكم ٣ / ١٠٠١، ١٠٠٢ بتحقيق أ . د / محمد الأحمدي أبو النور – ط / دار السلام .

يحركها الحب في الله عز وجل والرغبة الصادقة في مرضاته سبحانه وتعالى، والتماس الحسنى في الدار الآخرة، وهذه حقيقة الإيمان .

**وقد تضمن هذا الحديث ما يلى** :

١ – قضاء حوائج الناس وذكر الثواب الذى أعده الله عز وجل لمن يقوم بذلك، فمن أزال عن مؤمن شدة من شدائد الدنيا أزال الله عز وجل عنه شدة من شدائد يوم القيامة، ومعنى هذا أن الله تعالى يجزى الإحسان بالإحسان، ويجعل الثواب من جنس العمل، فكما أن العبد قد بذل جهده حتى أنقذ أخاه مما تعرض له من سوء وشدة، فإن الله تعالى ينقذ ذلك المعين من شدة عظيمة من شدائد يوم القيامة، يحتاج المرء إلى رحمة الله وفضله، وحيث يكون اليوم كما قال الله عز وجل عنه في القرآن الكريم :﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ (١) .

ومن أمثلة مقابلة الجميل بالجميل، وملاقاة العمل بمثله من الثواب ما جاء في حديث آخر قوله ﷺ : " أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمن على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عرى كساه الله من خضر الجنة " (٢) .

**ومن قضاء حوائج الناس أيضاً** :

التيسير على المعسر، فلقد حث النبي ﷺ أصحاب الأموال على الصبر

---

(١) سورة عبس : ٣٥ : ٣٧ .

(٢) الحديث أخرجه كل من : أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب في فضل سقى الماء، حديث رقم ١٦٧٩ عن أبى سعيد الخدري ﷺ وسكت عنه٢ / ١٣٣ .

على المعسرين الذين لا يستطيعون الوفاء بالدين وإنظارهم حتى يتيسروا

فالمسلمون كجسد واحد، يتحسس كل منهم مشاعر الآخرين، وتنبعث فيه أحاسيسهم فيشاركهم أفراحهم وأحزانهم يسر لما يحظون به من فرح وسرور وبهجة، وما يتمتعون به من أنس وصحة وسعادة، ويتألم لما ينالهم من أذى، وما يصيبهم من مرض، وما يقع بهم من فاقة وفقر وضيق عيش وكرب .

قال ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منع عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [١] .

**قال الحافظ ابن حجر** : قال القاضي عياض : فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب الفهم وإظهار للمعاني في الصورة المرئية، وفيه تعظيم لحقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا .

**قال ابن أبى جمرة** : شبه النبي ﷺ الإيمان بالجسد الواحد، وأهله بالأعضاء ؛ لأن الإيمان أصلى وفروعه التكاليف، فإذا أخلَّ المرء بشيء من التكاليف شأن ذلك الإخلال الأصل [٢] .

**هذا** : ومن الأمور التي أوصى بها النبي ﷺ في هذا الحديث أيضًا (الستر على المسلم) إذا صدرت منه زلة أو هفوة، وذلك صونًا لكرامته، وإصلاحًا لحاله، وإجبارًا له على سلوكه الطريق المستقيم، ومحاصرة لاتساع دائرة الشر في المجتمع .

---

(١) الحديث أخرجه كل من : الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم– حديث رقم٦٠١١ عن النعمان بن بشير–رضى الله عنه– ٢٢٣/٢٢، والإمام مسلم واللفظ له في كتاب البر والصلة والآداب – باب تراحم الناس وتعاطفهم وتعاضدهم – حديث رقم ٢٥٨٦ عن النعمان بن بشير–رضى الله عنه– ٢١٠/١٦. والإمام أحمد عن النعمان بن بشير -رضى الله عنه– ٢٧٠/٤ .

(٢) فتح الباري ٢٢ / ٢٢٣ .

قال تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

وقد رغب النبي ﷺ في الستر على المسلم الذى له مكانة في المجتمع، وقيمة عند الناس، لكن هذا مشروط إذا صدرت منه زلة، عن عائشة –رضى الله عنها– قالت : قال رسول الله ﷺ : " أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا في الحدود " (٢) .

أما المجاهر بالشر والفسق والفجور، الذى يتباهى بالمعصية فلا يستر عليه، بل يجب رفع أمره إلى ولى الأمر حتى يحاسبه على فسقه وفجوره ليكن ردعًا لغيره " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " .

كما يقرر الرسول ﷺ في هذه الجملة مبدأ التعاون والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع، حتى يسعى كل فرد من أفراده في حاجة غيره، بنفسه أو بماله أو بجاهه، حتى يشعر الجميع أنهم كالجسد الواحد، هذا ما دعا إليه الإسلام وأمر به المولى عز وجل في القرآن ووضحته السنة النبوية ؛ لأنه عنوان لمجتمع الإيمان، قال تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ (٣) .

ولما كان التعاون له أثر واضح في بناء المجتمعات وحياة الأمم والأفراد كان من أفضل الأعمال عند الله عز وجل، وكان عبادة لها من الأجر والثواب مثل ما لصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك أو يزيد قال ﷺ : " وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة " (١) .

---

(١) سورة النور : ١٩ .

(٢) الحديث أخرجه كل من : ابو داود في كتاب الحدود – باب في الحد يشفع فيه – حديث رقم ٤٣٧٥ وسكت عنه عن عائشة–رضى الله عنه– ٤ / ١٣١ – ط / الريان للتراث . والإمام أحمد عن عائشة–رضى الله عنه– ٦ / ١٨١ .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة – باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف – حديث رقم ١٠٠٩ عن أبى هريرة ٧ / ١٣٢ .

" ومن سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة " .

هذا حض وترغيب من النبي ﷺ في الرحلة في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، فمن شغل نفسه مخلصًا بطلب العلم بأن سعى إليه، أو تعب في مذاكرته وتحصيله وتفهمه وعمل به فإن الله عز وجل يوفقه لما أراد، ويمهد الطرق أمامه لدخول الجنة .

" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده " .

حث على الاجتماع في المساجد لتلاوة كتاب الله عز وجل، وتفهم آياته، والعمل بها ؛ لأن القرآن الكريم هو مصدر الحكمة وينبوع الرحمة، ولاشك أن الاشتغال به في مجال التقرب غلى الله عز وجل هو أفضل الأعمال .

وإن الاجتماع في بيوت الله عز وجل لمذاكرة القرآن الكريم ومدارسته يجازى عليه التالين المخلصين من ربهم أربعة أشياء :

**الأول** : نزول السكينة عليهم ؛ لأنها الطمأنينة، وبذكر الله عز وجل تطمئن القلوب، والمراد أنها تطمئن للإيمان حتى يفضى بها إلى الروضات في جوار الرحمن .

**الثاني** : غشيان الرحمة لهم ؛ لأن ذكر الله تعالى إحسان، والرحمة إحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

**الثالث** : حفت الملائكة بهم لاستماع الذكر تعظيمًا للمذكور، وإكرامًا للذاكر .

**الرابع** : ذكر الله عز وجل لهم فيمن عنده من الملائكة لقوله عز وجل: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[1] .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أنا عند ظن عبدى بي، وأنا معه إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسى، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في

(١) سورة البقرة : من الآية ١٥٢ .

ملأ هم خير منهم " [1] .

ثم يختم النبي ﷺ هذا الحديث بقوله : " ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه " بيان منه ﷺ أن العبرة في الإسلام بالعمل، لا بالنسب ولا بالحسب ؛ لأن العمل هو الميزان الذى يكون به القبول عند الله عز وجل، وهو أساس التفاضل ومعياره، فمن نقص عمله لا يفيده في ذلك أن يكون صاحب نسب أو حسب .

وختم ﷺ هذا الحديث بهذه العبارة الجامعة لئلا يعتمد بعض الناس على أحسابهم وأنسابهم، ويقصرون في العمل .

**رابعاً** : **المباحث العربية** :

قوله ﷺ : " من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " .

" نفس " : فعل ماض مبنى على الفتح في محل جزم فعل الشرط، ومعنى" نفَّس " أي أزال وفرَّج، من تنفيس الخناق أي إرخائه حتى يأخذ المخنوق الذى أوشك على الموت نفسًا، وهذا يدل على شدة الكربة .

"عن مؤمن " : جار ومجرور .

والتنكير للتعميم، وعبر بكلمة " مؤمن " ليشير إلى الأخوة : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [1] فيكون أدعى للاستجابة، وتفريج الكربة أمر

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى : " ويحذركم الله نفسه " عن أبى هريرة ﷺ ٢٨ / ١٦٣، ١٦٤، وأخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب الحث على ذكر الله تعالى عن أبى هريرة ﷺ ١٧ / ٣، ٤، وأخرجه الترمذي بهذا اللفظ في كتاب الدعوات – باب في حسن الظن بالله عز وجل عن أبى هريرة ﷺ، وقال عقبه هذا حديث حسن صحيح ٥ / ٥٨١ .

(١) سورة الحجرات : من الآية ١٠ .

مطلوب مرغوب فيه، دعا إليه الإسلام سواء أكان المكروب مؤمنًا أو غير مؤمن، ولكن لماذا خص المؤمن بالذكر في الحديث .

الجواب : خص المؤمن بالذكر لأنه أولى، ولأن حقوقه أكثر، ولأن المؤمن يعيش غالبًا بين إخوانه المؤمنين، ومن هنا كان التعبير بكلمة مؤمن لبيان مزيد شرفه وحرمته .

" كربة " : بالنصب مفعول به .

الكرب مصدر كرب، وهو مأخوذ من مادة " ك ر ب " التي تدل على الشدة والقوة يقال مفاصل مُكربة أي شديدة قوية وأصله الكَرَب وهو عقد غليظ في رشاء الدلو، ومن الباب الكرب وهو الغم الشديد (١) .

**قال ابن منظور** : الكرب على وزن الضَّرب، ساكن الراء : الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس، وجمعه كروب، وكربه الأمر والغم يكربه كربًا : اشتد عليه، فهو مكروب وكريب، والاسم الكُربة (٢) .

**قال الحافظ ابن حجر** : الكَرب بفتح الكاف وسكون الراء بعدها موحدة : هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويُحزنه (٣) .

ومما تقدم يفهم أن الكربة هي ما أهمَّ النفس، وغمَّ القلب، ولشدتها كأنها منعت التنفس فاحتاجت إلى قوله " نفَّسَ " .

" من كُرَب الدنيا " : جار ومجرور .

وكرب الدنيا التي تعرض للمرء في نفسه أو أهله، أو ماله، أو رزقه، أو عرضه، أو حريته، أو كل ما يضر ويؤذى .

" نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " .

---

(١) مقاييس اللغة للأحمد بن فارس ٥ / ١٧٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة كرب ١ / ٧١١، ٧١٢ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١١ / ١٥٠ .

" نفس الله " بذكر الفاعل، دون البناء للمجهول ليدل على عظم الجزاء، وتشريف فاعل الخير ؛ لأن الله عز وجل هو الذى يتولى الجزاء يوم القيامة، وفي هذا حث على تفريج كرب المكروبين .

" كربة " بالنصب : مفعول به. والتنكير فيها للتعظيم، أى كربة عظيمة، فهي من كرب يوم القيامة، وقد أفاد اتحاد الشرط والجزاء أن الجزاء من جنس العمل ؛ بيانًا للحافز وتوضيحًا للعدالة .

وفي هاتين الجملتين مقابلة تُفهم من السياق .

وبيانها : أن كربة الدنيا مهما عظمت يسيرة، وكربة الآخرة عظيمة، والدنيا تقابل الآخرة، واليسيرة تقابلها العظيمة .

" ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة " .

" من " : شرطية .

" يسَّر " : فعل الشرط وهو مأخوذ من مادة " ي س ر " التي تدل بحسب وضع اللغة على معنيين أحدهما يدل على انفتاح شيء وخنقه والآخر على عضو من الأعضاء .

ومنه اليسر ضد العسر .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[1].

يقال : تيسر كذا واستيسر أي تسهل [2] .

**قال الطبري** : اليسر عمل فيه لين وسهولة وانقياد أو هو رفع المشقة والحرج عن المكلف بأمر من الأمور لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم [1] .

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٨٥ .

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبى العلاء محمد بنعبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ٨ / ٢١٥ – ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(١) مقاييس اللغة ٦ / ١٥٦ .

" على معسر " : جار ومجرور .

والمعسر : الفقير قليل ذات اليد، وضده الموسر، والتيسير على المعسر يكون بأمور منها : الانتظار عليه حتى يتيسر أو الإبراء والهبة، والإعراب في هذه الجملة مثل سابقه .

وفي هذه الجملة " من يسر على معسر " بينهما طباق، والطباق بين الفعل " يسر " وبين الاسم " معسر " .

والتنكير في " معسر " للتعميم، فيشمل أي نوع من العسر .

" يسَّر الله عليه " : جاء الفاعل ظاهرًا، وكان يكفي الإضمار لتقديم لفظ الجلالة " الله " في الجملة الأولى، وبيان عظمة الجزاء والتشريف للمؤمن الذى يتصف بالتيسير على عباد الله، فالذي يتولى الجزاء هو الله تعالى، ولنا أن نتصور عظمة هذا الجزاء تكريمًا لفاعل الخير .

" يسَّر الله عليه " : بدل تيسيره على عبده مجازاة بجنسه [١] .

" ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة " .

الستر : مصدر قولهم ستَرَ الشيء الشيء أستُرُهُ : إذا غطيته .

**قال ابن فارس** : السين والتاء والراء كلمة تدل على غطاء [٢] .

**وقال الراغب** : الستر تغطية الشيء، يقال :ستر الشيء فاستتر أي غطيته فتغطى، كما يقال تستر أي تغطى، ويقال أيضًا ستر الشيء سترًا : أخفاه .

وفي الحديث : " إن الله حيي ستير يحب الستر" [١] .

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠ / ١٤٣ .

(٢) مقاييس اللغة ٣ / ١٣٢ .

(١) الحديث أخرجه أبوداود في كتاب الحمام – باب النهى عن التعري – حديث رقم ٤٠١٢ عن يعلى ﷺ ٤ / ٣٨، ٣٩ .

فعيل هنا بمعنى فاعل أيضًا، أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون[١].

**قال الإمام السندي في الحاشية** : معناه أنه عزَّ وجلَّ تارك للقبائح ساتر للعيوب والفضائح يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى [٢]

**قال المنذري** : الستر على المسلم تغطية عيوبه وإخفاء هناته [٣] .

" والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه " .

الواو للاستئناف وهو تدليل للكلام السابق جملة مكونة من مبتدأ وخبر ومضاف إليه .

"ما " مصدرية ظرفية .

ومعنى " والله في عون العبد " أي إعانته وتسديده .

" في عون أخيه " أي إعانة أخيه بقلبه أو مساعدته بقوته، أو ماله، أو جاهه أو غير ذلك من وجوه المساعدة .

وإسناد العون إلى الله عز وجل دليل على عظمة هذا العون، فالمعين هو الله سبحانه وتعالى بنفسه، ولا تستطيع قوة أن تخذل من أعانه الله، وأيضًا فيه تكريم وتشريف للعبد .

" العبد " : التعبير بلفظ العبد دون " المعين " حتى لا يغتر المعين بإعانته ويتباهى بماله، أو قوته، فهو عبد خاضع لله عز وجل، وكل ما قدمه إنما هو من فضل الله سبحانه وتعالى .

" ما كان العبد في عون أخيه " : وضع الظاهر موضع المضمر ؛ لأن فيه منعًا من الكبر والغرور والاستعلاء والترفع على الناس، والأنفة من

---

(١) مفردات الراغب ص ٢٢٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢ / ٣٤١ .

(٢) حاشية السندي ١ / ٢ .

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري ٣ / ٢٣٧ .

معاونتهم، وفي هذا كسر لغريزة التعالي في النفس الإنسانية .

" في عون أخيه " : جاء التعبير بلفظ " أخيه " المشعرة بالحب والرحمة ليكون ذلك رافعًا للمسلم على معونة أخيه، وقد جاء التعبير بالأخوة في مواطن كثيرة لغرض الاسترحام، والاستجابة النفسية لداعى الحب والرحمة .

" ومن سلك طريقًا " : سلك بمعنى دخل فيه وسعى .

" طريقًا " : فعيلاً من الطريق ؛ لأن الأرجل ونحوها تطرقه وتطلبه وتسعى فيه، ويصح أن يراد بها ما يشمل المعنوية كحفظه ومذاكرته ومطالعته وتفهمه وكل ما يتوصل به إليه .

" يلتمس فيه علمًا "، " يلتمس " : أي يطلب، والالتماس هو الطلب و " في " من قوله " يلتمس فيه " : قد تكون للظرفية وقد تكون سببية أي في غايته أو سببه، واحتمال كونه في حقيقة نادر جدًّا لا يحمل عليه الحديث .

العلم : نقيض الجهل، علمت الشيء أعلمه أي عرفته .

**قال ابن برى** : تقول علم وفقه أي تعلم وتفقه [١] .

فالعلم هو المعرفة والإدراك .

وفي الاصطلاح : يطلق العلم على ثلاثة معان :

**أولها** : القضايا المكتوبة والمسائل المدونة التي يتألف منها هذا العلم .

**ثانيها** : إدراك هذه المسائل وهذه القضايا .

**ثالثها** : الملكة التي تحصل لمن أدرك هذه القضايا وحصل تلك المسائل والتي يتمكن بها من استحضار تلك القضايا وهذه المسائل [١] .

---

(١) لسان العرب مادة علم ٤ / ٤٠٨٢ – ط / دار المعارف .

(١) دراسات في علوم الحديث للأستاذ الدكتور العجمي الدمنهوري خليفة ص ١٨ – ط / دار الطباعة المحمدية .

وطريق العلم نوعان :

**الأول** : الحسى : وهو الذهاب إلى مجالس العلم ومعاهده .

**الثاني** : المعنوي : وهو التماس الوسائل التي توصل إلى العلم كاتباع أسلوب معين كالطريقة والمنهج الذى يوصل إلى العلم مثل طرق التدريس ومناهج البحث والوسائل الموضحة لتوصيل العلم للعقول والأفكار .

" علمًا " : شرعيًّا يعرف به العبد ربه، وأحكامه من حلال أو حرام، وأمور المبدأ والمعاد قاصدًا بذلك وجه الله عز وجل، و" علمًا " نكرة " ليشمل جميع أنواع علوم الدين قليله أو كثيره (١) .

" سهل الله به طريقا إلى الجنة " أي يسر الله له بسلوك هذا الطريق طريقًا إلى جنته، والتنكير في قوله " طريقًا " للتعظيم، وتكرار الطريق في جملة الشرط والجزاء دليل على أن الجزاء من جنس العمل .

" وما اجتمع قوم في بيت " .

" قوم " : يشمل الرجال والنساء، إذا كان في المسجد مكانًا خاصًّا بالنساء، فإذا لم يكن بالمسجد مكانًا مخصصًا للنساء يكون المراد بالقوم الرجال فقط، كما في قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾(٢)، فالمراد بلفظ قوم الرجال والنساء، وقد يراد بهذا اللفظ الرجال فقط كما في قوله تعالى : ﴿**لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾(٣) .

فالمراد بلفظ قوم هنا الرجال بدليل المقابلة : " ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن"، ولفظ "قوم" في الحديث يؤدى المعنيين معًا في حالتين مختلفتين .

وهذا التعبير من الإيجاز، والإيجاز من ضروب البلاغة .

---

(١) تحفة الأحوذي ٨ / ٢١٥ .

(٢) سورة إبراهيم : من الآية ٤ .

(٣) سورة الحجرات : من الآية ١١ .

" من بيوت الله " : هي المساجد، والإضافة للتعظيم، والتنكير أيضًا للتعظيم .

" يتلون " : مصدر تلا الشيء يتلوه، وهذا المصدر مأخوذ من مادة " ت ل و " التي تدل بحسب وضع اللغة على معنى واحد هو الاتباع، يقال : تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن ؛ لأن القارئ يتبع آية بعد آية .

ويختلف مصدر الفعل " تلا " باختلاف الشيء المتلو (١) .

**قال الراغب** : تلا الشيء أي تبعه متابعة ليس بينها ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم، والمصدر حينئذ هو التلو والتلو، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والمصدر في هذه الحالة هو التلاوة (٢) .

**وقال ابن منظور** : تلوته أتلوه وتلوتُ عنه تلُو كلاهما : خزلته وتركته، وتلوته، تلو : تبعته، يقال : ما زلت أتلوه حتى أتليته أي تقدمته وصار خلفي، وأتيته أي سبقته، وتلوت القرآن تلاوة : قرأته، وعمم به بعضهم كل كلام (٣) .

التلاوة : يراد بترتيل القرآن تلاوته تلاوة تبين حروفها ويتأتى في أدائها ليكون أدنى إلى فهم المعاني، والتلاوة عند القراء قراءة القرآن متتابعًا كالأوراد والأسباع (٤) .

" كتاب الله " : هو القرآن الكريم، والإضافة للتعظيم .

´إلا نزلت عليهم السكينة " .في قوله : " نزلت " استعارة شبه الجعل بالإنزال بجامع ما يترتب على كل، ثم استعير الإنزال للجعل، واشتق الفعل الماضي " نزلت " بمعنى جعلت على الاستعارة التبعية .

---

(١) مقاييس اللغة ١ / ٣٥١ .

(٢) المفردات للراغب ص ٧٥ .

(٣) لسان العرب ١٤ / ١٠٢ : ١٠٤ .

(٤) فتح الباري ٨ / ٧٠٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٢٢٤ .

" السكينة " : فعلية من السكون للمبالغة، والمراد بها هنا :

١ – الحالة التي يطمئن بها القلب فلا يزعج لطارق دنيوي لعلمه بإحاطة قدرة الله تعالى لسائر الكائنات فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر لقوة رجائه بحصوله .

٢ – وقيل السكينة اسم ملك ينزل في قلب المؤمن بأمر الخير .

٣ – وقيل السكينة الرحمة والوقار والسكون والخشية وغير ذلك .

والمراد السكون تحت جرى المقادير لا ضد الحركة، ولا يمنع من تفسيرها بالرحمة عطفها عليها في الجملة بعدها لأن المقام للإطناب .

واختار المصنف كون السكينة هنا لمعنى الطمأنينة .

"وغشيتهم " : أي عمَّتهم وأحاطت بهم من كل جهة .

"الرحمة " : والمراد من الرحمة كما هو ظاهر غايتها من الإحسان والفضل والامتنان [١] .

"وحفتهم الملائكة " : حفَّ بتشديد الفاء من باب طلب، فتعدى إلى الثاني بحرف الجر قال تعالى : (وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ) [٢]، وقد يتضمن معنى أحاط، فَيَصِل إلى مفعوله الأول بالباء نحو ما جاء في حديث " إن لله ملائكة سيارة من قولهم حفوا بهم " .

" وذكرهم الله في من عنده " : عنديه مكانةٍ وعلو رتبة لا علو مكان، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهم الملائكة والأنبياء، وذكره للذاكر ثم مباهاة به ورضى بفعله .

" ومن بطأ " بتشديد الطاء المهملة نقيض السرعة أي من قصر .

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديق الشافعي ٣ / ٤٨ – ط / دار الكتاب العرب – بيروت – لبنان .

(٢) سورة الكهف : من الآية ٣٢ .

" به عمله " : أي قصر عن رتبة الكمال لفقد بعض شروط الصحة أو الكمال فيه .

" لم يسرع به نسبه " : أي لم يلحقه برتبي أصحاب الأعمال الكاملة ؛ لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب (١)

وفي هذه الجملة استعارتان مكنيتان، فقد شبه العمل والنسب كلاهما بمطية، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو التبطؤ في العمل وانتفاء الإسراع في النسب .

**خامساً** : **الشرح والبيان** :

تضمن هذا الحديث النبوي الشريف عدة قضايا أذكرها إجمالاً ثم أتناولها بالتفصيل بعد ذلك :

١ – فضل تفريج الكربة عن المؤمن .

٢ – فضل التيسير على المعسر .

٣ – فضل الستر على المسلم .

٤ – عون الله عز وجل للعبد الذى يعاون أخاه .

٥ – الحث على طلب العلم وبيان أنه طريق إلى الجنة .

٦ – فضل الاجتماع لتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل .

٧ – أن الأعمال الصالحة هي معيار التفاضل .

وأما تفصيل الكلام عن هذه القضايا فهو كالتالي :

**أولاً** : **فضل تفريج الكربة عن المؤمن** :

بدأ الرسول ﷺ هذا الحديث العظيم بذكر فضل إعانة المسلم لأخيه المسلم في تفريج كربته فقال ﷺ : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة " .

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديق الشافعي ٣ / ٤٨.

والمعنى : فرَّج أي أزال عن مؤمن شدة من شدائد الدنيا أيًّا كان نوعها سواء أكانت تتعلق بنفسه، أو أهله، أو ماله، أو عرضه، أو حريته، أو معيشته فإن الله عز وجل يفرج عنه بذلك شدة من شدائد يوم القيامة .

**معنى تفريج الله عز وجل كربة عبده يوم القيامة** :

يحتمل أن يكون بصرفها عنه قبل أن تقع به، ويحتمل أن يكون ذلك بعد أن تعرض له الشدة في الموقف، ويضيق عليه .

**والراجح** : هو القول الأول ؛ ودليل ذلك قول الرسول ﷺ، ودليل ذلك حديث أبى قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من نفَّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة "[(١)]، وسواء أكان تفريج المسلم لأخيه المسلم بجاهه، أو ماله، أو إشارته، أو غير ذلك، فإن الله عز وجل يفرج عنه بذلك في الآخرة .

**قال الإمام النووي** : ويدخل في كشف الكربة وتفريجها : من أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته، ورأيه، ودلالته [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾[(٣)] .

وظاهر الحديث يدل أن الحسنة التي يفعلها العبد لا يجزيه الله إلا بمثلها مع أن القرآن الكريم والسنة النبوية يوضحان أن أقل الجزاء يكون الحسنة بعشرة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في كتاب البيوع – باب فيمن أنظَرَ معسرًا – حديث رقم ٢٤١٩ عن أبى قتادة ﷺ ٢ / ٧١٣، وأخرجه الإمام مسلم عن أبى قتادة ﷺ ٥ / ٣٠٠ : ٣٠٨ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ١٣٥ .

(٣) سورة الرحمن : الآية رقم ٦٠ .

أمثالها كما قال الله تعالى :﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾(١).

كما أن هناك آية أخرى أكثر من ذلك في قوله تعالى : ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(٢) .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل "(٣) .

والجواب : أن كربة واحدة من كرب الآخرة تعادل أعدادًا كثيرة من كرب الدنيا، فالتضعيف إنما هو في الكيفية لا في العدد والكمية .

عبر هنا بمؤمن على ما في أكثر النسخ، وفيما يأتي عبر بمسلم إما لأن الكربة تتعلق بالباطن فناسب الإيمان المتعلق به، والستر يتعلق بالظاهر غالبًا، فناسب الإسلام المتعلق به (٤) .

وخص الجزاء هنا بكرب يوم القيامة، وعمم في الستر الآتي :

لأن الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصي والعار فيها أكثر من الكرب الدنيوية احتيج إلى الستر فيها .

---

(١) سورة الأنعام : من الآية ١٦٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الزكاة – باب الصدقة من كسب طيب – حديث رقم ١٤١٠ عن أبى هريرة ﷺ، والترمذي في كتاب الزكاة – باب في فضل الصدقة – حديث رقم ٦٦١ عن أبى هريرة ﷺ وقال عقبه : حديث أبى هريرة ﷺ حديث حسن صحيح ٣ / ٤١، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة – باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها – حديث رقم ١٠١٤ – ٧ / ١٣٧ .

(٤) الفتح المبين لشرح الأربعين لأحمد بن حجر الهيمى ص ٢٥٥ – ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبى .

وأيضًا لأن الدنيا– وإن كانت محل للكرب أيضًا – لكن لا نسبة لكربها لكرب الآخرة حتى تذكر معها، فاقتصر هنا عليها نعم من أعظم كرب الدنيا الإعسار بل هو أعظم فلذلك ألحق بالستر فلم يخص جزاؤه بالآخرة بل عمم في الدنيا، كذلك فالكرب الشدائد العظيمة، وليس كل أحد يحصل له في ذلك في الدنيا بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة للستر فإن أحدًا لا يكاد أن يخلو في الدنيا منها ولو بتعسر بعض الحاجات المهمة [١] .

وخص الجزاء هنا بتفريج كرب يوم القيامة ؛ لأن كرب الدنيا بالنسبة غلى كرب الآخرة لا شيء، فادخر الله تعالى جزاء تنفيس الكرب عنه لينفس به كرب الآخرة بكرب الدنيا، وليس معناه أنها حسنة بحسنة، فإن قانون الجزاء في الإسلام يجعل الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، قال تعالى : **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[٢] .

فإن الكربة الواحدة من كرب يوم القيامة تشمل على أهوال كثيرة، وأحوال صعبة، ومخاوف جمة ؛ مما يجعلها اعدل في ميزان الجزاء كربًا كثيرة من كرب الدنيا، فقد تعدل عشرة أمثال أو تزيد .

**قال الإمام النووي** : فإن قيل : قال الله تعالى : **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَ﴾** وهذا الحديث يدل على أن الحسنة بمثلها لأنها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة ؟

فجوابه من وجهين :

**أحدهما** : أن هذا من باب مفهوم العدد، والحكم المعلق بعدد لا يدل نفي الزيادة والنقصان .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

**والثاني** : أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشمل على أهوال كثيرة، وأحوال صعبة ومخاوف جمة، وتلك الأهوال تزيد على العشرة واضعافها في الحديث سر آخر يظهر بطريق اللازم للملزوم، وذلك أن فيه وعدًا بإخبار الصادق ﷺ أن من نفي الكربة عن المسلم يختم له بخير، ويموت على الإسلام ؛ لأن الكافر لا يُرحم في الدار الآخرة ولا ينفس عنه من كربه شيء، ففي الحديث إشارة إلى بشارة، تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الإمارة، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون : ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾[(١)]، فأفضل العمل تنفيس الكرب[(٢)] .

هذا مما يدل على أن كربة يوم القيامة تتضمن أهوال كثيرة منها ما يلى :

قول النبي ﷺ : " يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي، وينفدهم البصر، وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم .... " الحديث [(٣)]

أيضًا حديث عائشة –رضى الله عنها– قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض، قال ﷺ يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " [(٤)] .

---

(١) سورة الصافات : الآية ٦١ .

(٢) شرح الأربعين للإمام النووي ص ٥٤ – ط / دار عمر بن الخطاب – الإسكندرية .

(٣) الحديث بتمامه أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله عز وجل: " ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه " – حديث رقم ٣٣٤٠ عن أبى هريرة ﷺ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق – باب الحشر – حديث رقم ٦٥٢٧ عن عائشة ﷺ ١١ / ٣٨٥ – ط / دار الريان للتراث، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة – حديث رقم ٢٨٥٩ عن عائشة ﷺ ١٧ / ٢٨٠ – ط /: مؤسسة قرطبة .

فالأعمال الصالحة يومئذ هي الظلال للعبد، قال ابن مسعود ﷺ : " الأرض كلها يوم القيامة نار، والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها فيعرق الرجل حتى يرشح عرقه في الأرض قدر قامة، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه السحاب، قال : فيمم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس يصنع بهم " (١) .

وقال أبو موسى : الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم أو تضحيهم (٢)، وعن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا : " كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس " (٣) .

فإن قيل : هل يثاب المؤمن على تنفيس كربة غير المؤمن والتيسير عليه وستره وإعانته أن يختص ذلك بالمؤمن .

الجواب : ظاهر الحديث اختصاصه بالمؤمن والمسلم والأخ في الدين، والأشبه أن ذلك يثاب عليه في المؤمن والكافر لقوله ﷺ : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء " (٤) .

ولقوله ﷺ أيضًا : " في كل كبد رطبة أجر " (٥) .

---

(١) أورده الحافظ بن حجر العسقلاني وعزاه للطبراني والبيهقي وأبى يعلى بنحوه . فتح الباري ١١ / ٣٩٤ .

(٢) أورده الحافظ بن حجر العسقلاني وعزاه للطبراني والبيهقي وأبى يعلى بنحوه . فتح الباري ١١ / ٣٩٤ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عقبة بن عامر ﷺ ٤ / ١٤٧، ١٤٨ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب – باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم ١٩٥٥ عن أبى يعلى شداد بن أوس ﷺ ٣ / ١٥٤٨ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم – حديث رقم ٢٠٠٩ عن أبى هريرة ٢١ / ٢٢٢، وجزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام : باب فضل سقى البهائم المحترمة وإطعامها – حديث رقم ٢٢٤٤ عن أبى هريرة ﷺ ١٤ / ٣٤٧، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد – باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم – حديث رقم ٢٥٥٠ عن أبى هريرة ﷺ ٣ / ٢٣، ٢٤ . وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب – باب إماطة الأذى عن الطريق – حديث رقم ٣٦٨٦ عن سراقة بن جعشم ٢ / ١٢١٥ .

ويحمل الحديث المذكور على أن المؤمن أولى بتنفيس الكربة عنه من الكافر لشرف الإيمان، والأجر عليه أعظم، ثم يليه الذمي، ثم المستأمن، ثم الحربى على حسب قوة تعلقهم بالإسلام وضعفه وهذا أحسن [١] .

قلت : هذا إذا كان التنفيس من المؤمن، أما تنفيس غير المؤمن وتيسيره وستره على المؤمن هل يثاب عليه أم لا ؟

الجواب: إن تنفيس غير المؤمن على المؤمن فإنه يثاب عليه في الدنيا فقط .

والدليل على ذلك قول الله عز وجل: **﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [٢] .

أما في الآخرة فلا يثاب على شيء من التنفيس والتيسير والستر على المؤمن، والدليل على ذلك قول الله عز وجل : **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾** [٣] .

**قال الإمام ابن كثير** : " إنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذى لا يجور ولا يظلم أحد إذ أنها لا شيء بالكلية " [٤] .

وقال الإمام القرطبي : " هذا تنبيه على عظم قدر يوم القيامة، أي قصدنا في ذلك إلى ما كان يعمله المجرمون من عمل بر عند أنفسهم ... فجعلناه هباءً منثورًا أي لا ينتفع به، أي أبطلناه بالكفر" [٥] .

وهذا مما يقاس ايضًا على التيسير والستر .

---

(١) التعيين في شرح الأربعين لنجم الدين سليمان بن عبد القوى الطوفي ص ٣٠٩، تحقيق / أحمد حاج محمد عثمان – ط / مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة الزخرف : ٣٤، ٣٥ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير ٣ / ٣٢٤ – ط / دار مصر .

(٥) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ١٣ / ٢٦ – ط / دار الحديث – القاهرة .

**ثانياً** : **فضل التيسير على المعسر** :

قوله ﷺ : " من يسر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة " .

التيسير هو التخفيف، والتعسير هو التشديد، والمعسر هو المتعرض للشدة .

ويغلب التيسير في مواطن التخفيف من صاحب المال القادر على المدين الضعيف، وقد يكون تيسير بتأجيله استيفاء دينه حتى يتيسر للمدين قضاؤه، وقد يكون التيسير بأكرم من هذا، وهو تنازل صاحب المال بجزء من ماله أو كله إذا استطاع ذلك، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين اللونين من التيسير حيث قال عز وجل :﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

**قال الحافظ ابن كثير** عند تفسيره لهذه الآية : يأمر الله تعالى بالصبر على المعسر الذى لا يجد وفاء فقال تعالى : " وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة " لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حلَّ عليه الدين إما أن تقض وإما أن تربى، ثم يندب الله إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال : " وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون "، أى : وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين (٢) .

يفهم من هذا أن التيسير على المعسر يكون بالصبر عليه، وإنظاره حتى يتيسر أمره، والأكمل من ذلك أو الأفضل إبراؤه إبراءً كاملاً من دينه .

**جزاء الذى ييسر على المعسر** :

إن جزاء الذى ييسر على معسر هو تيسير الله سبحانه وتعالى، وهذا التيسير عام لشمل أمور الرزق، والعمل في الدنيا والآخرة، وكذا كل شئون المسلم في آخرته .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ١ / ٤٩١ – ط / دار الشعب .

**هذا** : وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل إنظار المعسر، وبيان الجزاء العظيم، والثواب الجزيل الذى أعده الله له .

عن ابن مسعود ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : " حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يجدو له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال : قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه " (١) .

وعن أبى قتادة ﷺ أنه قال : كان له ديْن على رجل وكان يأبه يتقاضاه فيخبئ منه فجاء ذات يوم فخرج صبى فسأله عنه فقال : نعم، هو في البيت يأكل خريزة، فناداه فقال : يا فلان اخرج فقد أخبرت أنك هنا، فخرج إليه، فقال : ما يغنيك عنى ؟ فقال : إنى معسر وليس عندي شيء، فقال آلله إنك معسر ؟ قال : نعم، فبكى أبو قتادة ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة " .

ولفظ مسلم : " من سرَّه أن ينجِّهِ الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لصبيانه : تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه " (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة – باب فضل إنظار المعسر – حديث رقم ١٥٦١ عن ابن مسعود ﷺ ١ / ٣٢٣ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري – كتاب البيوع – باب من أنظر معسرًا – حديث رقم ٢٠٨، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المسافات – باب فضل إنظار المعسر – حديث رقم ١٥٦٢ عن أبى هريرة ﷺ ١٠ / ٣٢٤ .

وعن أبى قتادة ﷺ عن النبي ﷺ : " من سره أن يُنَجِّهِ الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " (١) .

وعن أبى اليسر ﷺ عن النبي ﷺ قال : " من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظلَّه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " (٢) .

إن المعسر تارة يكون معسرًا بحق خاص لك، وتارة يكون معسرًا بحق لغيرك، والحديث يشمل الأمرين معًا لكن إذا كان الحق لك فالتيسير واجب، وإن كان الحق لغيرك فالتيسير مستحب، مقال ذلك : أن رجلاً يطلب شخصًا مبلغًا من المال، والشخص معسر، فهنا يجب التيسير عليه لقول الله تعالى : **﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾**.

ولا يجوز أن تطلبه منه، ولا تعرض بذلك، ولا أن تطالبه عند القاضي لقوله تعالى :**﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾** " ومن هنا نعرف خطأ الذين يطلبون المعسرين ويرفعون أمرهم للقضاء، ويطالبون بحبسهم، فإن قال قائل : إن أكثر أهل الباطل في الوقت الحاضر الذين يدعون الإعسار، وليسوا بمعسرين، فصاحب الحق لا يثق بادعائهم الإعسار .

الجواب : الأمانات اليوم قد اختلفت لاشك في ذلك، فقد يدَّعِى الإعسار من ليس بمعسر، وقد يأتي بالشهود على أنه معسر، لكنك إذا تحققت أو غلب على ظنك أنه معسر وجب عليك الكف عن مطالبته ومطالبته، أما إذا علمت أن الرجل صاحب حيلة وأنه موسر لكن ادعى الإعسار من أجل أن يماطل

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المسافات – باب فضل إنظار المعسر – حديث رقم ١٥٦٣ عن عبد الله أبى قتادة ١٠ / ٣٢٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق – باب حديث جابر وقصة أبى اليسر–حديث رقم ٣٠٠٦ عن عبادة بن الوليد بن الصامت ﷺ ١٨/١٨١: ١٨٣

بحقك فهنا لك الحق أن تطلب وتطالب، هذا بالنسبة للمعسر بحق هو لك، أما إذا كان معسرًا بحق لغيرك فإن التيسير عليه سنة وليس بواجب، اللهم إلا أن تخشى أن يساء إلى هذا الرجل المعسر ويحبس بغير حق وما أشبه ذلك، فهنا يمكن القول بوجوب إنقاذه من ذلك، ويكون هذا واجبًا عليك ما دمت قادرًا .

إن التيسير على المعسر فيه أجران في الدنيا وأجر في الآخرة .فإن قال قائل : لماذا لم يذكر الدنيا في الأول من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة فقط ؟

الجواب : الفرق ظاهر ؛ لأن من نفس الكربة أزالها فقط، لكن الميسر على المعسر فيه زيادة عمل وهو التيسير، وفرق بين من يرفع الضرر ومن يحدث الخير، فالميسر محدث للخير وجالب للتيسير، والمفرج للكربة رافع للكربة فقط، هذا والله أعلم وجه كون الأول لا يجازى إلا في الآخرة، والثاني يجازى في الدنيا والآخرة. فمن فعل شيئًا من ذلك التيسير أثابه الله عز وجل في مقابله بتيسيره شدة الآخرة عليه، وفي يوم القيامة يكون الأمر شديدًا، ويكون العسر على كثيرين، ولذلك وصف القرآن الكريم يوم القيامة بأنه يوم " عسير " على مستحقي هذا التعسير، و " يسير " على من يستحق التيسير .

قال ﷺ : " من سره أن ينجِّه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " [١] .

وقال ﷺ في حديث آخر : " من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " [٢] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٤١ .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ٤١ .

**ثالثاً** : **فضل الستر على المسلم** :

" ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة " .

ستر المسلم يشمل كل ما سبق، كما يشمل ستره عن الإهانة والذلة، فلا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكشف عوزه وضيقه وحاجته وكربته، كما يشمل ستره عن الزلات وعدم كشف سوءاته وسيئاته .

قال الإمام النووي : خص لفظ " مسلم " فجعل المراد منه مسلمًا مطيعًا، غير معروف بالعصيان، فقال رحمه الله : " وأما الستر المندوب إليه هنا، فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروف بالأذى والفساد، قال : فأما المعروف بذلك فيستحب ألا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولى الأمر، غن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يطعمه في الإيذاء والإفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل ما فعله .

قال : هذا كاه في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليه، وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولى الأمر إذا لم يترتب على ذلك مفسدة " (١) .

**هذا** : ولقد كثرت النصوص التي تحث على ستر المسلم، وتحذر من تتبع عورته وزلاته ليُفضح بين الناس، ومن هذه الأحاديث غير حديثنا :

حديث ابن عباس–رضى الله عنه– عن النبي ﷺ قال : " من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته " (٢) .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٣٠٣، ٣٠٤ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الحدود – باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات – حديث رقم ٢٥٤٦ عن ابن عباس وقال في الزوائد في إسناد محمد بن عثمان الجمحي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث، وقال الدارقطنى : ليس بالقوى، وباقي رجال الإسناد ثقات . سنن ابن ماجه ٢ / ٨٥٠ .

فإن تتبع عورات المسلمين علامة من علامات النفاق، ودليل على أن الإيمان لم يستقر في قلب من كان كل همه أن ينقب عن مساوئ الناس ليعلنها بين الملأ .

عن عبد الله بن عمر قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : " يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عورتاهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله"(١) أي منزله الذى ينزل فيه .

**ومن هنا يتضح لنا** أدب الستر على من وقع في معصية، فإذا اطلع المسلم على ذلة للمسلم فهل يسترها عليه أم يعلنها ؟ فإن هذا يختلف باختلاف أعمال الناس، والناس في هذا على حالين :

**الأول** : **من كان مستور الحال** :

أي لا يعرف بين الناس بشيء من المعاصي، فمثل هذا إذا وقعت منه هفوة أو ذلة وجب الستر عليه، ولا يجوز كشف حاله ولا التحدث بما وقع منه، لأن ذلك يعتبر غيبة محرمة، وإشاعة للفاحشة، والله تعالى يقول: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**(٢) .

---

(١) الحديث أخرجه ابو داود في كتاب الأدب – باب في الغيبة – حديث رقم ٤٨٨٠ عن أبى برزة الأسلمي ﷺ ٤ / ٢٧١، وأخرجه الترمذي واللفظ له في كتاب البر والصلة – باب ما جاء في تعظيم المؤمن – حديث رقم ٢٠٣٢ عن ابن عمر ، وقال عقبه هذا حديث حسن غريب ٤ / ٣٧٨، وأخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر ٤ /٤٢١ .

(٢) سورة النور : الآية ١٩ .

قال العلماء : المراد إشاعة الفاحشة على المؤمن فيما فرط منه، أو اتهم به مما هو برئ منه .

وقال بعضهم : اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولى الأمور ستر العيوب .

والمراد بالعصاة هنا المستورون الذين لم يستعلنوا بمعاصيهم، وعلى هذا تحمل النصوص الواردة في الحث على ستر المسلم، وهذا لا يعنى أنه لم يعظه ولا يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويحثه على الاستقامة والبعد عن المخالفة، بل ذلك كله مطلوب منه، لأنه من حق المسلم على المسلم .

**الثاني** : **من كان مشتهراً بالمعصية مستعلناً بين الناس** :

أما من لا يبالى بما يرتكب، ولا يكترث لما يقال عنه، فهذا فاجر مستعلن بفسقه، فلا غيبة له، بل يندب كشف حاله للناس، وربما يجب، حتى يتقوه ويحذروا شره، وإن اشتد فسقه، ولم يرتدع من الناس، وجب رفع حاله إلى ولى الأمر حتى يؤدبه بما يترتب على فسقه من عقوبة شرعية، لأن الستر عليه يجعله وأمثاله يطمعون في مزيد من المخالفة، فيسعون في الأرض فسادًا، ويجرون على الأمة الشر المستطير، بل مثل هذا يبحث عنه ويتتبع، لتستأصل جذور الفتنة من مجتمع المسلمين، يدل على ذلك قوله ﷺ : " واغدُ يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها "[1] .

**قال النووي** : وفي الحديث دليل على استحباب ستر المسلم إذا اطلع عليه أنه فعل فاحشة .

---

(١) جزء من حديث أخرجه كل من : البخاري في كتاب الصلح – باب إذا اصطلحوا على صلح جور فإن الصلح مردود ٣ / ٢٢٢ .ومسلم واللفظ له في كتاب الحدود – باب من اعترف على نفسه بالزنا ٤ / ١٣٢٤، ١٣٢٥ – ط / دار التراث العربي .

فقد قال تعالى : :﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**﴾[١] .

والمستحب للإنسان إذا اقترف ذنبًا أن يستر على نفسه [٢] .

**قال ابن دقيق العيد** : المراد الستر على ذوى الهيئات، ونحوهم ممن ليس معروفًا بالفساد، وهذا ستر معصية وقعت وانقضت، أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها، فإن عجز لزم رفعها إلى ولى الأمر إن يترتب على ذلك مفسدة [٣] .

أما المعروف بالفسق فلا يستر عليه ؛ لأن الستر عليه يطعمه في الفساد والإيذاء وانتهاك المحرمات، وجسارة غيره على مثل ذلك، بل عليه أن يرفعه إلى الأمام إن لم يخف من ذلك مفسدة .وكذلك القول في حرج الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب تجريحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة .

قال ابن رجب الحنبلي : واعلم أن الناس على ضربين :

**أحدهما** : من كان مستورًا لا يعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذى ورد في النصوص، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ**﴾[٤]، والمراد بإشاعة الفاحشة على المؤمن فيما وقع

---

(١) سورة النور : الآية ١٩ .

(٢) شرح الأربعين للنووي ص ٥٤ .

(٣) شرح الأربعين لابن دقيق العيد ص ٦٠ .

(٤) سورة النور : الآية ١٩ .

منه، واتهم به مما هو برئ منه، قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف : اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، ومثل هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقرَّ بحد لم يفسره، لم يطلب منه أن يفسره، بل يؤمر أن يرجع ويستر نفسه، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : " أقيلوا ذوى الهيئات من عثراتهم"(١) .

**الثاني** : من كان مشتهرًا بالمعاصي معلنًا بها، ولا يبالى بما ارتكب منها ولا بما قيل له : هذا هو الفاجر المعلن، وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصرى وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود، وصرح بذلك أصحابنا واستدلوا بقول النبي ﷺ : " واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها "، ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ ولو لم يبلغ السلطان، بل يترك حتى يقام عليه الحد فيكشف ستره ويرتدع به أمثاله .

**قال مالك** : من لم يعرف منه أذى للناس وإنما كانت منه زلة فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ به الإمام، وأما من عرف بشر أو فساد فلا أحب أن يشفع له احد، ولكن يترك حتى يقام عليه الحد، حكاه ابن المنذر وغيره أ . هـ (٢) .

**الفرق بين الستر والغفران** :

**قال الكفى** : الغفران يقتضى إسقاط العقاب، وقيل الثواب ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري عز وجل، أما الستر فهو أخص من ذلك، إذ يجوز أن يستر ولا يغفر، والغفران لا يكون إلا في الآخرة، أما الستر فيكون في الدنيا (٣) .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٢٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٤١٢، ٤١٣ .

(٣) الكليات للكفوى ص ٦٦٦ .

**وقال أبو هلال** : الغفران أخص، وهو يقتضى إيجاب الثواب والستر بترك الشيء يستر، ثم استعمل إيجاب في الإضراب عن ذكر الشيء، فيقال : ستر فلان إذا لم يذكر ما اطلع عليه من عثرات، وستر الله عليه خلاف فضحه، ولا يقال لمن يستر عليه في الدنيا إنه غفر له ؛ لأن الغفران ينبئ عن استحقاق الثواب، فيجوز أن يستره في الدنيا على الكافر والفاسق [١] .

**فوائد الستر** :

الستر صفة في الإنسان يحبها الله عز وجل أن مقتضى أسماء الله عز وجل الحيي الستير، فهو ستير يحب أهل الستر، الستر يطفئ نار الفساد المتأججة في المجتمع، والستر علاج اجتماعي جميل يخفي تحته كثيرًا من أمراض المجتمع، ثم لا تنتشر. كما أن الستر يثمر حسن الظن بالله تعالى وبالناس، من ستر عيب غيره ستره الله في الدنيا والآخرة، وقد يؤدى ستر عيوب الناس إلى المحبة والتعاطف بينهم

هل هناك فرق بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والستر ؟

قال فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين : " عندى أن هناك فرقًا بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبين الستر وكل منهما مأمور به وبينهما عموم وخصوص مطلق فيجتمعان في الستر، وعدم الإشاعة، ومع الأمر بالمعروف بينه وبينه ؛ لأن النصيحة في الملأ فضيحة، وينفرد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون الستر في الجهر به وكشف سره، ونصحه أمام الناس، أو رفع أمره إلى الحاكم، مع إمكان الإصلاح دون كشف، وينفرد الستر كثيرًا حتى يصل إلى اللامبالاة [٢] .

---

(١) الفروق اللغوية لأبى هلال ص ١٩٥، ١٩٦ .

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين ٩ / ٥٠ – ط / دار الشروق .

**قال الإمام ابن حجر الهيتمى** في معنى الستر : والمراد بستر المسلم ستر عورته الحسية أو المعنوية، بإعانته على ستر دينه، كأن يكون محتاجًا لنكاح فيتوصل له في التزويج، أو الكسب، فيتوصل له إلى بضاعة يتجر فيها، أو نحو ذلك [١] .

يتضح لنا مما سبق هدى الإسلام الحنيف، فلو أن المسلمين تمسكوا به لسلِم المجتمع من شرور كثيرة، ولما تفشت فيه تلك الرذائل التي تنخر في جسمه مثل السرقة، والاختلاس، والخيانة، والسكوت على المنكر، وقلة اللامبالاة بالمال العام والمصالح العامة، وهى من المنكرات التي تفشت من قبل في بنى إسرائيل، والتي من أجل اقترافها والرضا بها والسكوت عنها حل بهم غضب الله عز وجل ولعنته وسخطه ونقمته، قال تعالى : **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨)كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[٢][٣].

**رابعاً** : **عون الله للعبد الذى يعاون أخاه** :

إن المجتمع الإسلامي لن يكون قويًّا متماسكًا إلا إذا قام على أساس من التعاون والتضامن والتكافل فيما بين أفراده، فسعى كل منهم في حاجة غيره، بنفسه وماله وجاهه، حتى يشعر المجتمع أنهم كالجسد الواحد، وهذا ما دعا إليه الإسلام وأمر به القرآن الكريم، وجعلته السنة النبوية عنوانًا لمجتمع الإيمان،

---

(١) الفتح المبين لشرح الأربعين ص ٢٥٦ .

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٧٨، ٧٩ .

(٣) اللباب في البر والصلة والآداب أ . د / عجمي دمنهوري خليفة ص ١٣٣ – ط / دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

وقال ﷺ : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا " [2] .

فديننا الإسلامي الحنيف يريد أن يعلم أبناؤه أن يعاونوا غيرهم، ويبذلوا ما يستطيعون في سبيل تقديم المعونات للعباد، صغرت هذه المعونات أو كبرت، فهذه الجملة النبوية تشمل جميع أنواع الإعانة للمسلم من تفريج كربة، أو تيسير عسرة، أو ستره عند زلته، وهذه الجملة بالنسبة لما قبلها من باب ذكر العام بعد الخاص، فقد خصص قبل ذلك كل شيء على حدة، ثم أتى بجملة تشمل جميع ما تقدم، فعون المسلم لأخيه المسلم يشمل جميع أنواع الإعانة، لكن لماذا بدأ الرسول ﷺ هذه الجملة بلفظ الجلالة ؟ الجواب :بدأ الرسول ﷺ هذه الجملة بلفظ الجلالة بقوله : " والله في عون العبد " ليبين أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يتولى مجازاة الذى يعين أخاه المسلم .

وعبر بكلمة " العبد " دون غيرها ؛ لأن من شأن العبد أن يحرص على رضا مولاه، ومما يرضيه سبحانه وتعالى أن يعين الغنى من عباده الفقير، والقوى الضعيف، فالخلق جميعًا عيال الله واحبهم إليه أنفعهم لعياله .

وعبر عمن يقدم إليه العون بالأخوة، وذلك لكى يذكر المسلم برابطة الأخوة الوثيقة التي ربط الإسلام بها بينهم حتى يعين بعضهم البعض، ثم يبين ﷺ أن عون الله عز وجل مستمر ودائم لعبده طالما كان في حاجات أخيه ساعيًا، وبها مشغولاً، ويدل على ذلك قوله : " ما كان العبد " فإن ذلك يدل

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب – باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا – حديث رقم ٦٠٢٦ عن أبى موسى الأشعري ﷺ ٢٢ / ٢٣٦ . وأخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم ٢٥٨٦ عن أبى موسى الأشعري ﷺ ١٦ / ٢١٠ .

على دوام العبد، واستمراره في معاونة أخيه المسلم، ولقد كان الرسول ﷺ القدوة الحسنة في كل ما دعا إليه، فكان خير مثال في بذل العون لأصحابه ولاسيما اصحاب الحاجة منهم .

روى الإمام أحمد من حديث بنت الخباب بن الأرت قالت : خرج خباب في سرية، فكان النبي ﷺ يتعهدنا، حتى يحلب عنزة لنا في جفنة لنا فتمتلئ حتى تفيض، فلما قدم خباب حلبها، فعاد حلابها إلى ما كان " [١] .

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ تلامذة نجباء وأتباعًا أبرارًا فاقتدوا به وساروا على نهجه، وكذلك كان خلفهم الذين اتبعوهم بإحسان، فرضى الله عنهم ورضوا عنه

كان ابو بكر الصديق ﷺ يحلب للحى – الذين غاب عنهم رجالهم – أغنامهم، فلما استخلف على المسلمين قالت جارية منهم : الآن لا يحلبها، فبلغه ذلك فقال : بلى، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله .

٣ – وكان عمر ﷺ يتعاهد الأرامل، فيسقى لهن الماء في الليل، ورآه طلحة بن عبيد الله ﷺ مرة في الليل يدخل بيت امرأة، فدخل عليها طلحة نهارًا، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فسألها : ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ قالت : هذا منذ كذا وكذا يتعاهدني، يأتيني بما يصلحني ويخرج عنى الأذى، فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة، أعورات عمر تتبع [٢] .

هذا : وليس التعاون قاصرًا على العون المادي في عمل ونحوه، بل يشمل العون المادي بالمال في تنفيس كربة وتيسير على معسر على ما مر في الحديث، كما يشمل العون المعنوي كأن يسعى بجاهه لدى سلطان أو غيره في قضاء حاجة أخيه ومعونته .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد ٦ / ٣٧٢ .

(٢) الحديث اخرجه الإمام عبد الرزاق في المصنف ج٣ ص .

روى البخاري عن أبى موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت غليه حاجة قال : " اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء " (١) .

أي إذا عرض المحتاج حاجته على فاشفعوا له إلى فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأجر، سواء قبلت شفاعتكم أم لا، ويجزى الله عز وجل على لسان نبيه ﷺ ما شاء من موجبات قضاء الله وقدره .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج إليه، أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، ولهذا فقد كان رسول الله ﷺ لا يحتجب (٢) .

**خامساً** : **الحث على طلب العلم وبيان أنه طريق إلى الجنة** :

إن من القضايا التي نادى بها الإسلام، وحث أتباعه عليها ودعاهم إليها : " طلب العلم "، فالدين الإسلامي هو دين التفكير والنظر، دين العلم والمعرفة، لا يسوى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، قال تعالى : **﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾**(٣) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة – باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها – حديث رقم ١٤٢٢ عن أبى موسى ﷺ ٧ / ٥٢ .

(٢) فتح الباري ٢١ / ٢٣٧ .

(٣) سورة الزمر : من الآية ٩

بل إن أول آية نزلت من كتاب الله عز وجل على رسوله ﷺ **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**(١)، تعد مفتاحًا للعلم أيًّا كان نوعه .

ومن هنا فقد حض ديننا الإسلامي الحنيف أتباعه على طلب العلم واتفقه في الدين، وأن يبحثوا بحثًا دقيقًا في كل مجالاته وفنونه وفروعه، وأن يتحملوا المشاق في سبيل تحصيله وتعلمه، وأن يبذلوا اقصى طاقاتهم في طلب المزيد منه، وأن يتعلموا كل علم فيه منفعتهم في دينهم ودنياهم، وكل ما يعود عليهم وعلى أمتهم وعلى الإنسانية جمعاء بالخير والرفاهية.

بل إن الدين الإسلامي الحنيف قد أوجب طلب العلم وحث أتباعه على الاستزادة منه لتستنير به قلوبهم وتطمئن به نفوسهم، وليسعدوا بنوره في كل أمورهم وأحوالهم وتكون الدولة لهم .

قال تعالى : **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**(٢) .

فطلب العلم واجب لا يقل في وجوبه عن الجهاد والدفاع عن الوطن، فكما أن الوطن في حاجة ماسة إلى من يدافع عنه ويزود عن حياضه لمحاربة الأعداء كذلك فهو في حاجة غلى من يناضل ويدافع عنه بالحجة وبالبرهان وخصوصًا في هذا العصر الذى تقدم فيه العلم تقدمًا هائلاً .

فالعلم ميراث الأنبياء، فعن أبى هريرة ﷺ أنه مرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال يا أهل السوق ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبى هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ها هنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه،

---

(١) سورة العلق : الآية ١ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٢ .

قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة ﷺ لهم حتى رجعوا، فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نرّ فيه شيئًا يقسم، فقال لهم أبو هريرة–رضى الله عنه– : وما رأيتم في المسجد أحدًا ؟ قالوا بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة –رضى الله عنه–: وَيْحَكم، فذاك ميراث محمد ﷺ [(١)] .

كما أن العلم علامة على إرادة الله تعالى الخير للعبد .عن معاوية ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " [(٢)] .

قال الحافظ ابن حجر– رحمه الله تعالى – : ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين فقد حرم الخير ؛ لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهًا، ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس[(٣)] .

**الغاية من طلب العلم** :

إن الغاية من طلب العلم والتفقه في الدين وفهم أسراره فهمًا صحيحًا، يصلح به نفس العالم، ويسعد به مجتمعه الذى يعيش فيه.

**فالإسلام دين العلم** :

جاء الله تعالى بالإسلام، والأمم غارقة في ظلام الجهل، فكان أو ما أنزل على رسوله ﷺ : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[(٤)]، فكانت أول إضاءة في هذا الظلام الحالك، ثم توالت في إثرها

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال إسناده حسن ١ / ١٠٣، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٢٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم – باب من يرد الله به خيرًا – حديث رقم ٧١ – ١ / ١٩٧ .

(٣) فتح الباري ١ / ١٦٥ .

(٤) سورة العلق : ١ – ٥ .

الآيات المؤذنة بأن الدين دين العلم، فهو يدعو أهله إلى العلم، وينفرهم من الجهل، فتحولت الأمة الأمية إلى أمة علم ونور .

قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[1] فالدين كله مبنى على العلم، العلم بالله عز وجل وبدينه، والعلم بأمره ونهيه، فلا يعبد الله إلا بالعلم، ولا يمكن أن تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم.

**طلب العلم طريق إلى الجنة** :

إن الإسلام شرط النجاة عند الله عز وجل، والإسلام لا يقوم ولا يكون إلا بالعلم، فهو الذى يدل على الله سبحانه وتعالى من أقرب طريق ن فمن سلك طريقه ولم يعوج عنه بلغ الغاية المنشودة، فلا عجب إذًا أن يجعل رسول الله ﷺ طلب العلم طريق إلى الجنة، ولما كان العلم طريق الجنة كان له في الإسلام مكانة وشأنًا، وكان للعلماء منزلة عالية عند الله تبارك وتعالى تقارب منزلة الأنبياء، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [2] .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " قيل في تفسيرها : يرفع الله المؤمن العالِم على المؤمن غير العالِم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعونة في الدنيا بعلو المنزلة، وحسن الصيت، والحسبة في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة .

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٢) سورة المجادلة : من الآية ١١ .

عن نافع بن عبد الحارث – وكان عامل عمر على مكة – أنه لقيه بعسفان فقال له : من استعملت على أهل البوادي ؟ فقال : ابن ابزى فقال: ومن ابن ابزى ؟ قال : مولى من موالينا، قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر : إما أن نبيكم قد قال : " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين " [١]، وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**﴾ [٢] قال بالعلم [٣] .

وقال ﷺ : " من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا غلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالِم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " [٤] .

كما أن طلب العلم مصدر الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ : " من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " [٥] .

**استغفار الملائكة لطالب العلم** :

قال بدر الدين بن جماعة : " أعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها، وإنه لينافس في

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه – حديث رقم ٨١٧ – ٦ / ١٤٢ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ٨٣ .

(٣) فتح الباري ١ / ٢٥٢ – ط / دار الغد العربي .

(٤) الحديث سبق تخريجه ص

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ٥٤ .

دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه، فكيف بدعاء الملائكة، وقد اختلف في معنى وضع أجنحتها فقيل التواضع له، وقيل النزول عنده والحضور معه، وقيل التوقير والتعظيم له " (١) .

كما أن أهل العلم هم ورثة الأنبياء كما قال ﷺ :"العلماء ورثة الأنبياء" فالله سبحانه وتعالى جعل العلماء وكلاء وأمناء على دينه ووحيه وارتضاهم لحفظه والقيام به والذب عنه، وناهيك بها منزلة شريفة ومنقبة عظيمة .

قال ابن القيم – رحمه الله : " إن العلماء ورثة الأنبياء " هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم، وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، فإن الميراث إنما يكون للأقرب إلى المورث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء " (٢) .

قوله ﷺ : " وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم " الكلام متعلق برضا وقيل التقدير لأجل الرضا الواصل منها إليه أو لأجل إرضائها لطالب العلم بما يصنع من حيازة الوراثة العظمى والسلوك الأسنى .

قال زين العرب وغيره : قيل معناه : أنها تتواضع لطالبه توقيرًا لعلمه، كقوله تعالى : ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ (٣)، وقال عز وجل : ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٤)، أي تواضع لهم، أو المراد الكف عن الطيران والنزول للذكر كقوله ﷺ في حديث أبى هريرة ﷺ : " وحفت

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم لبدر الدين بن جماعة ص ٨ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ١ / ٦٦ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٢٤ .

(٤) سورة الشعراء : من الآية ٢١٥ .

بهم الملائكة " أو معناه المعونة وتيسير المؤونة بالسعي في طلبه، أو المراد تليين الجانب والانقياد والفيئ عليه بالرحمة والانعطاف .

أو المراد حقيقته وإن لم تشاهد وهى فرش الجناح وبسطها لطالب العلم(١) .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، فقال كلاهما على خير وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل، وإنما بعثت معلمًا، قال : ثم جلس معهم" (٢) .

**المراد بالعلم في الحديث** :

إن المراد بالعلم في الحديث العلم الشرعي ؛ لأنه الموصل غلى الله عز وجل وإلى الجنة، وبه يعرف الحلال والحرام وأمور المبدأ والمعاد .

والعلم الشرعي : هو الذى يفتح أبواب المعرفة والغيرة على الدين والرحمة بعباد الله عز وجل، وهو الموصل إلى الجنة .

**ما يشترط في العلم الموصل إلى الجنة** :

يشترط في العلم الشرعي الموصل إلى الجنة أن يكون باعثه :

١ – وجه الله عز وجل ومرضاته .

---

(١) تحفة الأحوذى ٧ / ٣٧٥، ٣٧٦، وشرح السنة، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ١ / ٢٧٧، ط / المكتب الإسلامي .

(٢) الحديث أخرجه كل من : الدارمى في سننه في المقدمة – باب فضل العلم والعالم ١ / ٩٩، ١٠٠ . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٣ / ٣٢٨ . وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله – باب جامع في فضل العلم ص٨٨ .

٢ – معرفة الأحكام الشرعية لتبليغها للناس .

٣ – العمل بهذا العلم .

٤ – تقوية الدين ونشره .

والعلوم الشرعية : هي القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم القرآن والسنة والتوحيد والفقه وأصوله، والسيرة وتاريخ الإسلام، والعلوم العربية التي بها يفهم الكتاب والسنة كالنحو والبلاغة وغيرهما، وتعلم هذه العلوم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، والواجب تعلمه هو ما لا يصح الدبن إلا به من عقيدة وعبادة ومعاملة، وهذا ما يعنيه النبي ﷺ بقوله : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (١) .

أما التبحر في العلوم الشرعية ففرض كفاية غذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به البعض أثم الجميع، ويقوم بهذا التبحر العلماء والفقهاء والمتخصصون تنفيذًا لقول الله عز وجل : ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (٢) .

**قال الإمام الغزالي** : إن العلم نوعان : فرض عين، وفرض كفاية : أما فرض العين فهو العلم الذى يهدى غلى الله عز وجل ويعرف به، ويعنى به

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة – باب فضل العلماء والحث على طلب العلم – حديث رقم ٢٢٤ عن أنس بن مالك ﷺ، وقال في الزوائد : إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان، وقال السيوطى : سئل الشيخ محيى الدين النووى – رحمه الله – عن هذا الحديث فقال : إنه ضعيف أى سندًا وإن كان صحيحًا أي معنى، وقال تلميذه جمال الدين المزى : هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال . سنن ابن ماجه بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ١ / ٨١ .

(٢) سورة التوبة : من الآية ١٢٢ .

علم المعاملة الذى يحرر للمسلم عقيدته، ويوضح له ما يأتمر به وما ينتهى عنه، وأما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء البدان وكالحسبان فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث ومن فروض الكفاية أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة وغيرها .

وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا اقام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين (١) .

ومن هذا التقسيم ندرك إدراكًا واضحًا أن كل علم من علوم الدنيا يحتاج إليه قوام ديننا ودنيانا فهو في الإسلام فريضة مرغب فيها ومأمور بها .

إذا : فعلوم الدنيا وما يتصل بحياة الناس وتقدم الإنسانية ورقيها فهي علوم ضرورية ولازمة حتى يتبوأ المسلمون مكانهم اللائق بهم بين الأمم وخاصة في هذا العصر الذى لا مكان فيه لمتخلف أو متخاذل .

وهذه العلوم مثل الطب والهندسة والزراعة والكيمياء وعلم طبقات الأرض والاقتصاد والفلك ... وكل ما يؤدى إلى قوة المسلمين وعزتهم تنفيذًا لقول الله عز وجل : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ (٢) .

والعلوم التي يكون بها التقدم والقوة ضرورية ولازمة للعمران ولقوة الإسلام، وعزة المسلمين وحكم تعلم هذه العلوم فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وتركها يؤدى إلى إضعاف المسلمين، وواجب على ولىّ الأمر أن يسد حاجة المسلمين من هذه العلوم، فهذه العلوم هي التي تثمر للعبد المعرفة بالله عز وجل والإيمان به والوقوف عند حدوده، ومعرفة ما يرضيه عز وجل وما يسخطه .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام ابى حامد الغزالي ١ / ١٥ – ط / عالم الكتب .

(٢) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

كما أن هذه العلوم هي التي تثمر لصاحبها الحكمة التي بها يسعد العبد في دنياه وأخراه، قال تعالى : ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾(١) .

لكن هل يقتصر من يسلك طريقًا يلتمس فيه علمًا على العلوم الشرعية وما يتصل بها فقط ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال العلوم الأخرى التي تتصل بحياة الناس في دنياهم، وبها تقدم الأمم ورقيها، وهى العلوم التي اصطلح على تسميتها بالعلوم المدنية مثل علوم الطب، والهندسة، والزراعة، والكيمياء، والجيولوجيا وغيرها ؟

والجواب على هذا : أن هذه العلوم ضرورية ونافعة، وأن الإسلام يطلبها ليحرص عليها، ويجعلها من الفروض التي يجب على المسلمين تحصيلها، والتقدم فيها إلا أن افتراضها ليس على كل فرد من المسلمين، بل هي فرض على الجماعة كلها، فرض عليها أن يكون فيها الأطباء والمهندسون، وغيرهم، حتى يعز بهم الدين، وتقوى كلمة المسلمين إلا أنه يتنبه المسلم أيًّا كان عمله، وأيًّا كانت ثقافته إلا أن العلوم الشرعية هي الأساس، وما لا يصلح به قلبه ولسانه، وأمر عقيدته، ودينه ويصح به عمله، ومعاملته فلا عليه بعد ذلك أن يتعلم ما شاء من العلوم ما دامت لا تعارض شيئًا من حقائق الدين الثابتة ولا يترتب على دراستها ضلال أو انحراف، وطالما كانت نافعة له ولبلده، ثم عليه بعد ذلك أن يحذر من غوائلها، وشرورها والاغترار بها والانصراف بها عن العلوم الشرعية والتعالي بها، وإذا صلح المرء، وكان سليم الفطرة، نقى السريرة، انفتح أمامه بهذه العلوم طرق كثيرة إلى معرفة الكون وخالقه وأسراره ونواميسه،

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٦٩ .

فازداد بذلك إيمانًا ويقينًا، وإذا فسدت النفس، وكان صاحبها معوج الفطرة خبيث السريرة زادته هذه العلوم وبالاً وخبالاً، ولم تزده من ربه إلا بُعدًا [١] .

فمجلس العلم أفضل المجالس، تغشاها الرحمة، وتنزل عليها السكينة، وتحفها الملائكة، ويذكر الجالسين بها الرحمن فيمن عنده .

ولما كان لمجالس العلم هذا الفضل وتلك المنزلة حرص السلف الصالح عليها، ولهجت ألسنتهم بما يبرز مكانة العلم وفضله والحث على طلبه وتحصيله .

قالل لقمان لابنه ناصحًا وموصيًا : يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل من السماء [٢] .

وعن الحسن أبا الدرداء قال : كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًّا أو متبعًا ولا تكن الخامس فتهلك، قال : قلت للحسن : وما الخامس ؟ قال : المبتدع [٣]

وروى عن النبي ﷺ قال : " الناس ثلاثة : عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، والباقي همج رعاع اتباع كل فاسق " [٤] .

ولله در القائل :

**تعلـــم إذا كنـــت لـــيس بعـــالم ∴ فمـا العلـم إلا عنـد أهـل الـتعلم**

**تعلـــم فـــإن العلـــم زيـــن لأهلـــه ∴ وليس تستطيع العلم أن لم تعلم**

**تعلـــم فـــإن العلـــم أزيـــن بـــالفتى ∴ من الحلـة الحسناء عند التكلم**

**ولا خيـــر فـــيمن راح لـــيس بعـــالم ∴ بصـبر بمـا يـأتي ولا مـتعلم [٥]**

---

(١) اللباب ص ١٦٩ بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٧٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٧، ٥٨ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٨ .

إلى غير ذلك من النصوص والآثار التي تدعو وتحث على طلب العلم وتحصيله والاستزادة منه، وتبين أنه طريق موصل إلى الجنة .

ولكن من يطلب العلم لابد أن يتحلى بآداب، حتى يتسنى له تحصيل العلم، ويكون هذا العلم طريقًا يوصله للجنة في الآخرة، ولأن تتواضع له لملائكة ويستغفر له من في السماوات ومن في الأرض .

وفيما يلي أذكر بعضًا من آداب طالب العلم ...

إن طالب العلم يرغب في إزالة جهله وكشف حجب حرمانه وضلاله، والبحث عن أسرار حياته، والكون الذى يعيش فيه، ومعرفة أسباب سعادته وطريق نجاته وفوزه، كما أنه يعد نفسه لخدمة أمته وإنقاذ غيره من أسباب الشقاء والضلال والضياع فيبحث عما فيه نور عقله، وإشراق قلبه وسلامة أقواله وأعماله وتزكية نفسه وتطهيرها، وإعلاء شأن أمته ورفع منار حضارتها، ولا يتم ذلك كله إلا بالعلم، وطالب العلم لابد أن يتحلى بآداب منها :

**أولاً**: - **إخلاص النية لله عز وجل** :

إن الأعمال التي يقوم العبد بأدائها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمقاصدها، والله تبارك وتعالى يزن أعمال العباد بنواياهم فيها ويفاضل بينها، باختلاف البواعث التي تكمن وراءها، فكلما كان العمل خالصًا لله عز وجل مجردًا عن الأهواء والشوائب كان أرجى قبولاً، وأعظم أجرًا، فالنية معيار الأعمال التى تصدر عنها، فما من عمل يعمله العبد في الدنيا إلا والشرط الأول فيه إخلاص النية لله عز وجل .

والإخلاص هو : إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد، وهو أن تريد بطاعتك التقرب غلى الله تعالى دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى(١) .

من أجل ذلك أمرنا المولى عز وجل أن نخلص نياتنا في أعمالنا كلها له جل وعلا، فقال تعالى : **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**(٢) .

وجاء الأمر بالإخلاص في سنة النبي ﷺ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "(٣) .

قال الإمام الغزالي : اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو : حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران : علم وعمل، العلم يقدمه

---

(١) الذكار للنووي ص ٧ .

(٢) سورة البينة : الآية ٥ .

(٣) الحديث أخرجه كل من : البخاري في بدء الوحى كيف كان بدء الوحى غلى رسول الله ﷺ ١ / ٤٦، وأخرجه أيضًا في كتاب الإيمان – باب ما جاء أن الأعمال بالنية ١ / ، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة – باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية ٤ / ٥٧١ ط / دار الشعب، وأبو داود في سننه في كتاب الطلاق – باب فيما عنى به الطلاق والنيات وسكت عنه ٢ / ٢٦٢، والترمذي في سننه في كتاب فضال الجهاد – باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، وقال عنه هذا حديث حسن صحيح ٤ / ١٥٤ ط / دار الكتب العلمية، والنسائي في سننه في كتاب الطهارة – باب النية في الوضوء ١ / ٥٨ .

لأنه أصله وشرطه، والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل، أعنى كل حركة وسكون اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور علم وإرادة وقدرة، لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه فلابد وأن يعمل ولا يعمل ممثلاً يريد فلابد من إرادة [١] .

ومما سبق يتضح لنا أن العلم دليل أيضًا كما هو دليل الإيمان، وعلى هذا ترجم البخاري في جامع صحيحه فقال : باب العلم قبل القول والعمل .

قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف – يعنى البخاري – على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم أن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه [٢] .

فجميع الأعمال التي تقع من العبد لا تكون معتبرة وصحيحة وكاملة، ومقبولة عند الله عز وجل إلا بالنوايا الطيبة والدوافع النبيلة .

قال الإمام أحمد بن حنبل : " أحب لكل عمل عملاً من صلاة أو صيام أو صدقة أو أي نوع من أنواع البر أن تكون النية متقدمة في ذلك قبل الفعل، وقد سأله الفضل بن يزاد فقال : يا ابا عبد الله كيف تكون النية في العمل ؟ فقال : يعالج الإنسان نفسه إذا أراد عملاً لا يريد به الناس [٣] .

وقال فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور أحمد محرم : " والناس يتنوع في سعيهم في هذه الحياة الدنيا، فمن الناس من يقصد بسعيه وجه ربه فيكون كل عمله خالصًا لله وحده لا شريك له سواء في حله أو ترحاله في سعيه وجهاده، وفي تركه الأهل والأوطان وغربته عن الأحبة والخلان ومخالفته هوى النفس

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٥ / ٢٦٩٩ ط / بيروت .
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١ / ١٣٠ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٥٠ .

ومكابدته ومثابرته على الطاعة، كل ذلك ليس إلا طلبًا لرضا الرحمن لسان حاله يقول الله وحده هو المأمول، وهيهات أن يأمل في سواه " .

ومن الناس من يشرك مع الله غيره فيسعى لله ولمقصود آخر سواه، وهو عز وجل أغنى الشركاء عن الشريك، وكل عمل اشرك معه غيره فهو لمن أشرك معه [١] .

إذا فخير ما يوصل طالب العلم إلى رضا الرحمن هو أن يبتغى بطلبه وتحصيله للعلم وجه الله عز وجل مخلصًا له – جل وعلا – النية .

وإذا كان الإخلاص يرفع قدر صاحبه في الدنيا والآخرة فإن نقيضه وهو الرياء يحط من قدر صاحبه في الدنيا والآخرة، ولقد حذر النبي ﷺ طالب العلم من أن يرائي بطلبه وتحصيله العلم، ولا يبتغى به وجه ربه، ولا يخلص فيه النية ولا يصلح فيه الطوية، فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " [٢] .

وأحدثكم حديثًا فأحفظوه :" إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقه، فهو بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيَّته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخلط به في ماله بغير علم ولا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم

---

(١) وقفات مفيدة أمام توجيهات نبوية سديدة أ . د / أحمد محرم الشيخ ناجى ١ / ١٠ الطبعة الرابعة – مطبعة الصفا والمروة .

(٢) الحديث أخرجه كل من : ابو داود في سننه في كتاب العلم – باب في طلب العلم لغير وجه الله تعالى وسكت عنه ٣ / ٣٢١، وابن ماجه في سننه في المقدمة – باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١ / ٩٣، وابن عبد الر في جامع بيان العلم وفضله– باب ذم التاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا ص ٢٦٨، ٢٦٩ .

لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيَّته فوزرهما سواء " (١) .

وفي هذا الحديث يبرز لنا النبي ﷺ فضل النية الصالحة في جميع الأعمال التي تقع من العبد وشؤم النية السيئة والعياذ بالله .

ويتضح مما سبق أن طالب العلم يقضى سنوات من عمره مجهدًا نفسه مسهرًا عينيه مضنيًا جسمه في طلبه وتحصيله للعلم، فواجب عليه أن يخلص فيه النية لله عز وجل ؛ لأنه يسلك بطلبه للعلم طريقًا إلى الجنة .

قال عبد الله بن المبارك : إن أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر (٢) .

**ثانيًا: أن يعرف حق معلمه عليه ويقوم به:**

من الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها أن يعرف حق معلمه عليه ويقوم به ويتمثل ذلك في أن يتواضع لمعلمه ويخضع لنصيحته، ويطلب رضا الله عز وجل بخدمته وببذل كل جهده في تقديره واحترامه وإجلاله وحسن السؤال والاستماع عنده، فلا يتقدم عليه بكلام، ولا يناديه باسمه مجردًا .

وذلك امتثالاً وتنفيذًا لما أمر به النبي ﷺ، فعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء " (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه كل من : الإمام أحمد في مسنده عن أبى كبشة الأنماري رضي الله عنه ٤ / ٢٣١، والترمذي في سننه في كتاب الزهد – باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، وقال عقبة : هذا حديث حسن صحيح ٤ / ٤٨٧، وابن ماجه في سننه – كتاب الزهد – باب النية ٢ / ١٤١٢ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله – باب منازل العلم ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ .

علم ذلك السلف الصالح فضربوا اروع الأمثلة في حُسن الأدب وكمال التعظيم والتواضع والتقدير والاحترام والإجلال ...

فها هو عبد الله ابن مسعود ﷺ أحد صحابة رسول الله ﷺ الأطهار، يقول : سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة لوقتها، قال : قلت ثم أي ؟ قال : بر الوالدين، قال: قلت ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله. قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني " [١] .

فهذا طالب علم هو صحابي جليل عبد الله بن مسعود ﷺ يرغب في الزيادة في العلم رغبة في الخير وحرصًا عليه، ولكنه كف عن الأسئلة شفقة منه على معلمه رسول الله ﷺ اشرف الخلق ﷺ ليضرب لنا أروع الأمثلة في عظيم الأدب التي ينبغي أن يكون عليه طالب العلم وحُسن السؤال والحرص على العلم .

وروى عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء بن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا يفعل بالعلماء والكبراء (أي في الدين) فقبل زيد بن ثابت يده، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا[٢] .

---

(١) الحديث أخرجه كل من : البخاري في كتاب الصلاة – باب فضل الصلاة لوقتها . فتح الباري ٢ / ٩ . وأخرجه أيضًا في كتاب الجهاد – باب فضل الجهاد والسير . فتح الباري ٦ / ٣ . وأخرجه أيضًا في كتاب التوحيد – باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً . فتح الباري ١٣ / ٥١٠ . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب كون الإيمان بالله تعالى افضل الأعمال ١ / ٢٦٨ – ط / الشعب .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٢٠٢، وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين، وعزاه العراقي في المغنى عن حمل الأسفار للبيهقي في المدخل . الإحياء وبهامشه المغنى ١ / ٤٤ .

وروى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : " تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم " (١) .

فطالب العلم عليه أن يتحلى بالوقار والسكينة ويتواضع لمعلمه، ولذلك حذر النبي ﷺ طالب العلم من أن لا يعرف حق معلمه عليه.

وعن أنس بن مالك قال : " جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف عالمنا حقه " (٢) .

ويوم أن يعرف كل طالب علم حق معلمه ويقوم به ليصل إلى ما ينبغي، يبارك الله عز وجل له فيما يتعلمه فينتفع به ويزداد علمًا وهدى .

فالصلة التي تربط بين طالب العلم وبين معلمه تشبه الصلة بينه وبين أبيه، بل إنها تزيد عليها، وذلك لأن الأب يربى في الابن الجسد، أما المعلم فيربى في طالب العلم الروح والعقل، ويفتح له مغاليق الحياة بإزالة ظلمات الجهل عنه وذلك بما يغدقه عليه من خلاصة علمه وعصارة تعبه وجهده .

إذًا : فالعلماء يحفظون أبناء أمتهم من نار الآخرة أما الآباء والأمهات فيحفظونهم من نار الدنيا .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : " صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعنى علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله ص ٢١٤ .

(٢) الحديث أخرجه كل من : أبو داود في سننه مختصرًا في كتاب الأدب – باب في الرحمة، وسكت عنه ٤ / ٢٨٦، والترمذي في سننه في كتاب البر والصلة – باب ما جاء في رحمة الصبيان، وقال عقبة : هذا حديث غريب ٤ / ٢٨٣ .

فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه " [١] .

وينبغي على كل متعلم أن يتذكر دائمًا قصة نبي الله وكليمه موسى مع الخضر – عليهما السلام – حينما احتاج موسى إلى علمه والاستفادة منه شرط عليه الخضر ألا يسأل عن شيء يعلمه حتى يخبره بحكمته وأن يصبر ولا يعصى له أمرًا، فقبل موسى هذه الشروط قائلاً : ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾[٢] .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : وعلى الجملة فكل متعلم استبقى لنفسه رأيًا واختياريًا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران [٣]، ومن حق المعلم على طالب العلم ألا يسأل طالب العلم معلمه إلا بإذن من معلمه، فإن المعلم أدرى بما أدركه الطالب وبما لم يدركه ...

ولذا قال على ﷺ إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته (تشق عليه) في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشى له سرًا ولا تغتابن عنده أحد ولا تطلبن عثرته، وإن ذل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله وأن تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت إلى خدمته [٤] .

وقال الحسن بن على ﷺ عنه لابنه : يا بنى إذا جالست العلماء فكن حريصًا على أن تسمع من أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ولا تقطع حديثًا وإن طال [٥] .

---

(١) إحياء علوم الدين ١ / ٤٩.

(٢) سورة الكهف : ٦٩، ٧٠.

(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٤٥.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٢٠٥.

(٥)أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله : ص ٢٠٦.

ومما سبق يتضح لنا : في وضوح وجلاء حق المعلم على طلابه فالمعلم هو الذى يغرس في الأمة سمو الأخلاق وحسن التربية ونور العلم فحقه على طلابه التكريم والتبجيل والتواضع له ..

ورحم الله القائل :

**قـــم للمعلـــم وافـــه التبجـــيلا ∴ كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا**

**أرأيـت أعظـم أو أجـل مـن الـذى ∴ يبنـــى وينشـــئ أنفسًـــا وعقـــولاً**

كلا ليس هناك أعظم ولا أجل ولا أكرم من الذى يبنى وينشئ الأنفس والعقول، فليت طلاب العلم يعرفون حق المعلم عليهم ويقومون به على أكمل وأتم وجه .

**ثالثًا**:- **أن يبدأ طالب العلم بالأهم من العلوم** :

إن العلم في الإسلام مطلوب ما دام الإنسان قادرًا على طلبه فليس له مرحلة تعليمية يقف عندها، فهذا الدين الحنيف الذى نزلت أول آية من دستوره الخالد تأمر بالقراءة لابد أن يكون أتباعه غير جاهلين ومن قصر منهم في طلب العلم وهو متاح له فهو مسلم غير حقيقي، لأن المسلم الحقيقي هو الذى يحرص على التزود بالعلم وطلبه من المهد إلى اللحد ويشعر بأنه مهما يبلغ من العلم يظل متطلعًا إلى المزيد منه فهو لا يشبع أبدًا من طلبه العلم .

عن عون قال : قال عبد الله منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد من الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان ثم قرأ عبد الله :﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ،أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى**﴾[1] قال وقال الآخر :﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[1][2] .

---

(١) سورة العلق : الآية ٦، ٧.

(١) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٢) الحديث أخرجه الدارمى في سننه في المقدمة، باب فضل العلم والعالم ١ / ٩٦ .

فطالب العلم كلما حصل نصيبًا من العلم تطلع نحو نصيب آخر وأدرك أنه يجهل أكثر مما يعلم، قال تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١] .

وطالب العلم لا يفتقر عن مواصلة طلبه للعلم، ولكن العمر بالنسبة لطالب العلم محدود ولا يتسع لجميع العلوم فمهما حاول طالب وبذل ما في وسعه في الحصول عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مصداقًا لقول الله عز وجل : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٢] .

لذلك وجب عليه أن يبدأ بتعلم الأهم من العلوم لدينه أولاً ثم الأهم لدنياه، ثم يحاول أن يأخذ من كل علم طرفًا يبصر به مرماه وموضوعه وبعض جوانبه ثم يتفرغ بعد ذلك لأفيد العلوم في الدنيا والآخرة، وليعلم أن كل ما يجب تعلمه وما يسن علمه يسن تعلمه وكل علم يشرف بشرف موضوعه الذى يبحث فيه وخير العلوم ما يوصل الإنسان إلى معرفة ربه وشرعه ودينه الذى أنزله على رسوله محمدًا ﷺ ودعا الخلق جميعًا إليه، وجعل السعادة في الدنيا والآخرة موقوفة على العمل به .

وعن الحسن ﷺ قال العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم [٣]، ولم يقتصر الإسلام الحنيف الدعوة في طلب العلم على العلوم الشرعية بل نجده لفت الأنظار إلى كل أنواع العلوم التي تساهم في تقدم أتباعه وترفع مكانتهم بين الأمم، فالعلوم غير الشرعية ضرورية ونافعة دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف، وجعلها من الفروض التي يجب تحصيلها والتقدم فيها إلا أن افتراضها ليس على كل فرد

---

(١) سورة الإسراء : من الآية ٨٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أخرجه الدارمى في سننه في المقدمة باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١ / ١٠٢.

من المسلمين بل هي فرض على الجماعة كلها .

قال سفيان يعنى ابن عينية : ليس شيء أنفع من علم ينفع، وليس شيء أضر من علم لا ينفع، وأنشد أبو عبد الله إبراهيم بن عرفه نفطويه لمحمود بن الحسن الوراق :

**إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد ∴ لعلمك مخلوقًا من الناس يقبله**

**وإن زانك العلم الذى قد حملته ∴ وجدت له من يجتنبه ويحمله** [1]

ويتضح لنا مما سبق: أن طالب العلم واجب عليه أن يبدأ في طلبه للعلم بالأهم من العلوم لأمر دينه ودنياه بأن يتعرف ويتعلم من علوم الشرع ما يعرفه بعقيدته معرفة صحيحة، ويتعلم لأمر دنياه ما يضبط وينظم سلوكه وعلاقاته وتصرفاته مع الناس .

**رابعاً**: - **أن يهتم طالب العلم بالتطبيق العلمي لما يتعلمه** :

إن العلم في الإنسان ليس ترفًا عليلاً، ولا متعة ذهنية، ولا غاية في ذاته، بل إنه وسيلة للعمل والتطبيق فإذا علم طالب العلم شيئًا ولم يترجمه إلى سلوك فلا جدوى منه، بل يصبح هذا العلم حجة عليه وسببًا لعذاب عظيم في الآخرة .

ومن هنا كان الإيمان الصادق هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وكان هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ضعاف الإيمان إن لم يكونوا منافقين، وقد حذر الله – عز وجل – من التفريق بين القول والعمل ومن فرق بينهما تعرض لأكبر المقت وأشد البغض من خالقه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[1]، ولقد شبه المولى عز وجل في القرآن الكريم اليهود الذين حملوا التوراة غير أنهم لم يعملوا

(١) جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر، ص ٢٥٥ .

(١) سورة الصف : ٢، ٣.

بها بالحيوان الأعجم فقال عز وجل: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[١] .

وهذا المثل ينطبق تمامًا على كل من تعلم علمًا ولم ينتفع به أو لم يحققه سلوكًا في حياته إنه بذلك يصير كأنه حيوانًا أعجمًا لا يعقل، ولا ينال من حمل الأسفار سوى العناء والمشقة .

ومن هنا كانت استعاذة النبي ﷺ من العلم الذى لا ينفع : عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول" اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع " [٢]، وجاء عن على ﷺ قال " يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله " [٣] .

وعن الحسن ﷺ " العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم " [٤] .

قال الإمام الشاطبي في المقدمة الثامنة : " العلم الذى هو العلم المعتبر شرعًا أعنى الذى مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق هو العلم الباعث على العمل الذى لا يخلى صاحبه جاريًا مع هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعًا أو كرهًا " [١] .

وما قاله الشاطبي ليس مقصورًا على العلم الشرعي أو العلم الخاص ببيان الحلال والحرام من الأحكام، وإنما يشمل كل علم نافع للإنسان وأن العمل

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٥ .

(٢) أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب استعاذة رسول الله ﷺ من علم لا ينفع ص ٢٥٢ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١ / ١٠٦.

(٤) الحديث سبق تخريجه، ص .

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبي ١ / ٦٩ ط / دار الفكر العربي .

أيًا كان لونه ينبغي أن يكون في خدمة عبودية الإنسان لبارئه فلا يحيد به عن طريق الحق والعدل .

**وخلاصة ما تقدم** :

أن العلم لا قيمة له بدون عمل وتطبيق واستفادة منه، فليحذر طالب العلم أن يكون ممن يتعلم ولا يعمل بما عمل بل واجب عليه أن يعمل بما يتعلمه حتى يتحقق له الخير في الدنيا والآخرة .

إلى غير ذلك من الآداب الواجب توافرها في كل طالب علم .

**سادساً** : **فضل الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم** :

إن القرآن الكريم هو مصدر الحكمة وينبوع الرحمة وأساس العلم النافع، لذا حث النبي ﷺ على تعلمه وتعليمه وتفهم آياته والعمل بها، وذلك لأن الاشتغال بالقرآن الكريم في مجال التقرب إلى الله عز وجل هو أفضل الأعمال وأزكاها عن عثمان بن عفان ﷺ قال : قال ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [1] .

وقوله ﷺ : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة " .

قال الإمام القرطبي : " فيه ما يدل على جواز تعليم القرآن في المساجد، أما للكبار الذين يتحفظون بالمسجد فلا إشكال فيه، ولا يختلف فيه، وأما الصغار الذين لا يتحفظون بالمساجد فلا يجوز، لأنه تعريض المسجد للقذر والعبث وقد قال ﷺ : "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وحدودكم ... الحديث " [1] .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم ٥٠٢٧ عن عثمان بن عفان ﷺ ٨ /٦٩٢، ط / دار الريان للتراث

(١) الحديث أخرجه عبد الرازق في مصنفه رقم ١٧٢٦ – ٣ / ٩٨ ط / بيروت – لبنان، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الصلاة – باب في كرامة المساجد وما نهى عن فعله فيها، وعزاه للطبراني في الكبير وقال ومكحول لم يسمع من معاذ قلت وهو ضعيف ٢ / ٢٥، ٢٦، ط / دار الكتاب بيروت – لبنان .

قلت : ولعل المقصود بالصبيان صغار السن الذين لا يحسنون التمييز ولم يتعلموا حرمة ومكانة المساجد وصيانتها عن العبث والقذر، وإلا فقد أباح العلماء حضور من بلغ سن الخامسة مجالس العلم كما كان يفعل صغار الصحابة رضوان الله عليهم .

وقد تمسك بحديث الباب من يجيز قراءة الجماعة القرآن على لسان واحد، كما كان يفعل عندنا بالمغرب، وقد كره بعض علمائنا ذلك، ورأوا أنها بدعة إذ لم تكن كذلك قراءة السلف، وإنما الحديث محمول على : أن كل واحد يدرس لنفسه، أو مع من يصلح عليه، وليستعين به " [١] أ هـ .

ترجم الإمام النووي رحمه الله : فقال باب استحباب الاجتماع على تلاوة القرآن يعنى ذلك من المستحب أن الناس يجتمعون على تلاوة القرآن، كما يوجد الآن في حلقات تحفيظ القرآن، ويعلمونه فإن هذا النوع مما ندب إليه النبيﷺ.

وقال ابن رجب الحنبلي: هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته " [٢] .

**عمارة المساجد** :

إن خير الأماكن لذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن الكريم وتعلم العلم إنما هي المساجد بيوت الله عز وجل في أرضه يعمرها عباده المؤمنون الصادقون في إيمانهم وعمارتها الحقيقة أنما تكون بالعلم والذكر إلى جانب العبادة من صلاة واعتكاف ونحوها .

قال الله عز وجل : **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ**

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للحافظ أبى العباس القرطبي ٦ / ٦٨٧، ط / دار ابن كثير .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٤١٧ ط / دار الحديث القاهرة .

**اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾** (١) .

**المراد ببيوت الله** :

بيوت الله : هي المساجد أضيفت إليه سبحانه تعظيمًا لها وتشريفًا لأنها يذكر فيها اسمه، وتقام فيها الصلاة تقربًا إليه، وهى ملتقى الصاحين من عباده ومهبط رحماته، وموضع نظره في الأرض .

هذا : والتقييد في هذا الحديث للاجتماع بأنه في السجد خرج مخرج الغالب فلو اجتمع قوم رباط أو مدرسة أو غيرها فإنهم ينالون هذا الفضل الذى تضمنه الحديث .

كذلك لو كان الاجتماع لمدرسة علم شرعي، أو لذكر الله عز وجل وتسبيحه وتحميده وتمجيده، فإن الله يمنحهم كذلك هذا الفضل فذكر لقرآن هنا إنما لشرفه ولو شأنه إذ هو الذكر الحكيم، وهو أعلى الأذكار وأصلها، وفيه كل ما يصقل القلوب وينقيها ويهذب النفوس ويصفيها، وكل ما يؤهل المؤمن للرقى في معارج الفضل والقرب والكمال .

**فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه** :

إن لتلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعهده بالقراءة من الفضل ما لا يخفي، ويكفي لإثبات ذلك ما جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأثار الصحابة رضوان الله عليهم، فمن الآيات : قول الله عز وجل : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾** (١) .

---

(١) سورة النور : آيات ٣٦،٣٧ ، ٣٨ .

(١) سورة فاطر : الآية ٢٩،٣٠ .

وقد كان قتادة ﷺ إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء [١]، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجر وافيًا وإنما يزيدهم الله إكرامًا وفضلاً .

قال القرطبي : هذه الزيادة هي الشفاعة في الآخرة [٢] .

وقد ربط المولى عز وجل بين تلاوة القرآن والإيمان به فقال : **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٣] .

وقد جاء عن ابن مسعود ﷺ في تفسير هذه الآية إن من حق التلاوة أن يقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوله منه شيئًا على غير تأويله [٤]

قال القرطبي : " وحق التلاوة يجوز أن يكون بمعنى الإتباع أو العمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهة، ويجوز أن تكون بمعنى مقرونة فترتيل ألفاظه وفهم معانيه يكون الإتباع لمن وفق " [١] .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ والذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزل الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله [٢] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٦٢ .
(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ٣٤٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٢١ .
(٤) جامع البيان ١ / ٤١١ .
(١) تفسير القرطبي ٢ / ٩٥ .
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١ / ٤١١ .

**مراتب التلاوة** :

اتفق الباحثون في علم التجويد على أن للقراءة ثلاثة مراتب : هي الترتيل والحدر والتدوير، وأضاف بعضهم مرتبة رابعة هي التحقيق وزاد آخرون مرتبة خامسة أطلقوا عليها الزمزمة .

وقد جاء في القرآن الكريم الحث على الترتيل خاصة ويكاد يجمع العلماء على أن أفضل الأنواع يليه التدوير ثم الحذر .

قال الحافظ ابن حجر : يراد بترتيل القرآن تلاوة تبين حروفها ويتأنى في أدائها ليكون ذلك أدنى إلى فهم المعاني [١]، وهو القراءة بتؤدة واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه مع تدبر المعاني[٢] .

**حسن التلاوة** :

قال ابن بطال : المراد بقوله ﷺ " زينوا القرآن بأصواتكم " المد والترتيل، والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قرأته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة [٣] .

**الفرق بين القراءة والتلاوة** :

القراءة أعم من التلاوة فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، لا يقال تلوت رقعتك، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك إتباعه، كذا قال الراغب، ويفهم منه أن التلاوة خاصة بالقرآن الكريم مع الإتباع وليست القراءة كذلك، وفرق التانهوى بين القراءة والتلاوة والأداء فقال والفرق بينهما وبين الأداء والقراءة أن الأداء الأخذ عن المشايخ، والقراءة تطلق عليهما معًا أي الأداء والتلاوة إذ هي أعمم منها [٤] .

---

(١) فتح الباري ٨ / ٧٠٧ .

(٢) البرهان في تجويد القرآن ص ٦ .

(٣) فتح الباري ١٣ / ٥٢٨ .

(٤) المفردات ص ٧٥، كشاف اصطلاح الفنون ١ / ٢٤٤ .

**حالات الاجتماع لتلاوة كتاب الله عز وجل** :

**الحالة الأولى** : أن يقرؤوا جميعًا بفم واحد وصوت واحد، وهذا على سبيل التعليم لا بأس به، كما يقرأ المعلم الآية ثم يتبعه المتعلمون بصوت واحد، وإن كان على سبيل التعبد فبدعة، لأن ذلك لا يؤثر عن الصحابة ولا عن التابعين .

**الحالة الثانية** : أن يجتمع قوم فيقرأ أحدهم وينصت الآخرون، ثم يقرأ الثاني ثم الثالث ثم الرابع وهلم جرا وهذا له وجهان :

**الوجه الأول** : أن يكرروا المقروء، فيقرأ الأول مثلاً صفحة، ثم يقرأ الثاني نفس الصفحة، ثم الثالث نفس الصفحة وهكذا، وهذا لا بأس به ولا سيما لحفاظ القرآن يريدون تثبيت حفظهم .

**الوجه الثاني** : أن يقرأ الأول قراءة خاصة به أو مشتركة، ثم يقرأ الثاني غير ما قرأ الأول بأن يقرأ الأول مثلاً من سورة البقرة، ويقرأ الثاني الثمن ويقرأ الثالث الثمن الثالث فيكون أحدهم قارئ والآخرون مستمعون المستمع له حكم القارئ في الأجر والثواب ولهذا قال الله عز وجل في قصة موسى وهارون: ﴿**قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾[1] والداعي هو موسى – عليه السلام – كما قال الله تعالى : ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا [2] قيل إن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، ولهذا شرع للإنسان المستمع لقراءة القارئ إذا سجد القارئ أن يسجد .

---

(١) سورة يونس الآية رقم ٨٩ .

(٢) سورة يونس الآية رقم ٨٨، ٨٩ .

وكان النبي ﷺ أحيانًا يأمر من يقرأ القرآن ليستمع قراءته كما أمر ابن مسعود ﷺ أن يقرأ عليه فعن عبد الله ﷺ قال : قال لي النبي ﷺ اقرأ على القرآن قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال إنى أحب أن أسمعه من غيرى " (١) .

قال ابن بطال : " يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل لكى يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك عن القارئ لانشغاله بالقراءة وأحكامها " (٢) .

**الحالة الثالثة** : أن يجتمعوا وكل إنسان يقرأ لنفسه دون أن يسمع له الآخرون وهذه هي التي عليها الناس الآن فتجد الناس في الصف في المسجد كل يقرأ لنفسه والآخرون لا يستمعون إليه (٣) .

**عطاء الله عز وجل للمتدارسين لكتابه** :

إن عطاء الله عز وجل للمتدارسين لكتابه عظيم، وذلك لأن تلاوته خير ما يذكر به الله عز وجل فهو عبادة مأمور بها، ويثاب عليها المسلم، وتكون تلاوته وسيلة لنجاة المتدارسين له يوم القيامة، وسبب في نيل مرضاة الله عز وجل، حتى يشفع القرآن الكريم لتاليه عند ربه قال تعالى : **﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾** (٤) .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في فضائل القرآن باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره حديث رقم ٥٠٤٩ عن عبد الله بن مسعود ﷺ ٨ / ٧١٢، والإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع حديث رقم ٨٠٠ عن عبد الله بن مسعود ﷺ ٦ / ١٢٥ .

(٢) فتح الباري ٨ / ٧١٢ ط / دار الريان للتراث .

(٣) شرح الأربعين النووية لمحمد بن صالح العثيمين ٣٧٩،٣٨٠ ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٤) سورة الكهف : آية ٢٧ .

وقال عز وجل : ﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[١] .

وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " مثل الذى يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذى يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران " [٢] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " [٣] .

هذا : ولا يقل فضل السماع للقرآن الكريم عن فضل تلاوته، بل إن الاستماع والإنصات لقراءته سبب لنيل مغفرة الله عز وجل ورحمته، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [٤] .

كما أن رسول الله ﷺ قال : " من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة " [٥] .

---

(١) سورة النمل : ٩١، ٩٢ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة – باب في ثواب قراءة القرآن – حديث رقم ١٤٥٤ عن عائشة ﷺ سنن أبى داود ٧١/٢، وأخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن – باب في فضل قارئ القرآن – حديث رقم ٢٩٠٤ عن عائشة ﷺ وقال عقبة هذا حديث حسن صحيح . سنن الترمذي ٥ / ١٧١، وأخرجه الإمام أحمد عن عائشة ﷺ ٦ / ٤٨ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب فيمن قرأ حرفًا من القرآن حديث رقم ٢٩١٠ وقال عقبة حديث حسن صحيح ٥ / ١٦١ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٣٤١ .

ويزداد الأجر ويعظم الثواب ويكثر الفضل إذا ضم إلى التلاوة والاستماع الفهم والتدبر والخشوع فيجتمع نور على نور، ومكرمة إلى مكرمة، ويكون ذلك عنوان العقل ورمز الرفعة عند الله عز وجل، قال تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (١) .

وهذا ما يدل عليه قوله ﷺ في حديث الباب " وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله .... " الحديث، ففضل الله عز وجل وثوابه عظيم على أولئك الذين يجلسون يتلون كتابه، إذ حباهم الله عز وجل بمكرمات أربع، كل منها دليل على علو شأنهم عند الله عز وجل، ورفعة منزلتهم وكفيل لهم برضوان الله تبارك وتعالى ومغفرته وقبوله .

**المكرمة الأولى** : نزول السكينة عليهم وهى شيء خلقه الله تعالى فيه الرحمة والوقار ومعه الملائكة، وبهذه السكينة يطمئن القلب، وتهدأ النفس، وينشرح الصدر، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (٢) .

عن البراء بن عازب ﷺ قال : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : " أقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت للقرآن " (٣) .

**المكرمة الثانية** : غشيتهم الرحمة أي غمرتهم وأحاطت بهم، وذلك لأن ذكر الله عز وجل إحسان والرحمة إحسان وهل الجزاء الإحسان إلا الإحسان، عن

---

(١) سورة ص : الآية ٢٩ .

(٢) سورة الرعد : آية ٢٨ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الكهف .

سلمان ﷺ أنه كان في عصابة يذكرون الله تعالى فمر بهم رسول الله ﷺ فقال : " ما كنتم تقولون ؟ فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأردت أن أشارككم فيها " [١] فهذه الرحمة أعظم ما يحظى به المؤمن كثمرة لجهده وتلاوته لكتاب ربه، فطوبى للذين يتلون ويتدارسون كتاب الله عز وجل فالبشارة لهم بأنهم من المحسنين المؤمنين الصادقين الذين تحيط بهم رحمة الله عز وجل .

**المكرمة الثالثة** : وحفتهم الملائكة أي أحدقت بهم وقعدت معهم لاستماع الذكر تعظيمًا للمذكور وإكرامًا للمتذاكر، عن أسيد بن حضير ﷺ قال : بينما هو يقرأ في الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس [٢] فسكت فسكتت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريب منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال : " اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال " وتدرى ما ذاك ؟ " قال : لا قال : " تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم"[٣] .

قال الحافظ ابن حجر : قال النووي : في هذا الحديث جواز رؤية آحاد

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك .

(٢) جالت : أي تحركت واضطربت، ووثبت شرح النووي ١١٩/٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند نزول القرآن ج٨ص٦٨٠ح٥٠١٨، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ١١٨/٦-١١٩ح٧٩٦ .

الأمة للملائكة، كذا أطلق وهو صحيح لكن الذى يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، قال : وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة .

قال الحافظ ابن حجر : الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ، وقد أشار في آخر الحديث بقوله : " ما يتوارى منهم " إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذى هو من شأنهم وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل(١).

فجزاء التالين لكتاب الله عز وجل أنهم كلما أكثروا من قراءة كلام الله عز وجل كثرة الملائكة التي تحيط بهم من كل جانب .

فما معنى نزول الملائكة، وما ثمرة وجودهم وإحاطتهم :

إن معنى نزول الملائكة أن هؤلاء القارئين المتدارسين لكتاب الله عز وجل في أمن وسلام، وإن ثمرة وجودهم حفظهم لهؤلاء المتدارسين التالين لكتاب الله عز وجل من كل أذى، وصيانتهم من أن يصل إليهم شيء يكرهونه قال تعالى : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾(٢) أي بأمر من الله تعالى وإذن منه .

ولعل خير ثمرة لهذه المكرمة : أن هؤلاء الملائكة سفراء بين عباد

---

(١) فتح الباري جـ٨ صـ٦٨٢ .

(٢) سورة الرعد : الآية ١١ .

الرحمن وبين خالقهم جل وعلا، يرفعون إليه سبحانه وتعالى ما يقوم به هؤلاء المؤمنين من ذكر الله عز وجل ومدارستهم لكتابه، وما انطوت عليه نفوسهم من رغبة في نعيم الله عز وجل ورضوانه، ورهبة من سخطه وإشفاق من عقابه، فيكون ذلك سببًا وبابًا للفوز والنجاة .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإن وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، ما يقول عبادي، قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال : هل رأوني ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوك قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا وأكثر تسبيحًا، قال : يقول : فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوها قال : يقول : فكيف إذا رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار قال: يقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها قال : يقول : وكيف إذا رأوها؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة قال: فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة ؟ قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[1] .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل ٤١٢/١١ح٦٤٠٨، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر ٥٢٤/١٨-٥٢٥ح٢٦٢٨٩ .

**المكرمة الرابعة :** " ذكرهم الله فيمن عنده " .

إن من المكرمات التي حبا الله عز وجل بها عباده التالين لكتابه عز وجل : إن ذكر العبد المؤمن ربه، بتلاوة كتابه وسماع آياته، قابله الله عز وجل على فعله من جنسه فذكره سبحانه وتعالى في عليائه، وشتان ما بين الذكرين ففي ذكر الله تعالى لعبده الرفعة، والمغفرة والرحمة، والقبول والرضوان قال تعالى : ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (١) .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ يقول الله تعالى : " أنا عند ظن عبدى بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسى، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإذا تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة"(٢).

ويتضح لنا مما سبق : قبول الله عز وجل ورضوانه وسرعة ثوابه لذلك الذى أقبل على الله تبارك وتعالى، ولزم شرعه فامتثل أمره واجتنب نهيه وثبت على طاعته وخلاصة القول :

إن الذين يقبلون على كتاب الله عز وجل تلاوة ودراسة وتعلمًا وتعليمًا والتزامًا قد ربحت تجارتهم، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾(٣) .

**سابعاً : الأعمال الصالحة هي معيار التفاضل :**

قوله ﷺ : " من بطا به عمله لم يسرع به نسبه " .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر.

(٣) سورة فاطر آية رقم ٢٩ .

اختتم النبي ﷺ هذا الحديث الجامع لأعمال البر وجزاؤها بهذه الجملة كالتعقيب والتذييل بالنسبة لما تقدمها من عبارات هذا الحديث النبوي الشريف، فهي بمثابة حقائق تنطوي على نصائح غالية، وقرب جليلة سامية، من شمر لها، وسعى فيها ونهض بأعبائها كان من السابقين، من قصر فيها وتقدم عليه المجتهدون، وتفوق عليه العاملون المخلصون، ولا ينفعه من التقصير حسب ولا نسب، ولا جاه، ولا سلطان .

ففي هذه الجملة النبوية الكريمة بيان لإنسانية الإسلام وعدالته وبيان أن التقوى والعمل الصالح طريق الوصول إلى الله عز وجل، فلقد قرر الإسلام الحنيف وحدة الإنسانية ورسخ المساواة بين أفراد البشرية من حيث المولد، فالجميع مخلوقين من نفس واحدة، ولا فرق بين أبيض وأسود، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا امتياز لشريف على وضيع في أصل الخلقة .

قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾** (١)، فالتفاضل بين الناس بالعمل الصالح، وطريق القرب من الله تعالى تقواه، دون النظر إلى من انحدر من الآباء، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (٢) .

فلا يضير الإنسان عند الله عز وجل ضعفة نسبه، فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب وذلك لأن العمل هو الذى يبلغ بالعبد درجات الآخرة كما قال الله تعالى : **﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾** (١) .

فمن بطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله عز وجل لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات فإن الله رتب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب .

---

(١) سورة النساء : آية ١ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(١) سورة الأحقاف : آية ١٩ .

قال المباركفورى : من أخره عمل عن بلوغ درجة السعادة لم يجبره نقيضه لكونه نسيبًا في قومه، إذ لا يحصل التقرب إلى الله تعالى بالنسب بل الأعمال الصالحة [١]، فالله سبحانه وتعالى قد رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب بينهم قال تعالى : ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [٢] .

من أجل ذلك نجد القرآن الكريم يحذر الناس من أن يعتمدوا على الأنساب، فيأمر النبي ﷺ أن يبدأ في تبليغ الناس دعوة الله تعالى بإنذار أقرب الناس إليه نسبًا قال تعالى : ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [٣] .

ونجد الرسول ﷺ وهو الشفوق الرحيم وأولى الناس بشفقته ورحمته عشيرته وذوو قرباه نجده ﷺ يسارع لتبليغ أمر ربه، فيصعد الصفا وينادى " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا يا بنى عبد مناف، لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئت من المال لا أغنى عنك من الله شيئًا " [٤] .

**ولاية الإيمان والعمل، لا ولاية الدم والنسب** :

لقد كان الناس يتناصرون ويتولى بعضهم بعضا بالعصبة والقرابة النسبية فجاء الإسلام الحنيف فقطع كل صلة بين الإنسان والإنسان إلا صلة الإيمان، وليبطل كل ولاية إلا ولاية الدين والعمل، ونصرة العقيدة والمبدأ .

---

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٨ / ٢١٦ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الشعراء : آية ٢١٤.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري وأخرجه الإمام مسلم .

قال تعالى : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (١) .

هذا : وإذا تحققت الولاية بين المؤمنين على أساس العقيدة والدين تحققت لهم ولاية الله عز وجل ونصرته، وولاية نبيه ﷺ وشفاعته، فمن كان أكمل إيمانًا كان أعظم، ومن كان أكثر عملاً كان أكثر قربى من الله تعالى وأحظى شفاعة قال تعالى ﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾(٢)، وقال ﷺ " إن آل أبى ليسوا لي بأولياء، وإنما ولى الله وصالحوا المؤمنين"(٣).

قال النووي : ومعنى الحديث أن ولى من كان صالحًا وإن بعد منى نسبه، وليس ولى من كان غير صالح وإن قرب منى نسبه (٤) .

وقال القرطبي : فائدة الحديث انقطاع الولاية في الدين بين المسلم والكافر ولو كان قريبًا حميمًا .

وقال ابن بطال :أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين ونفاها عن أهل رحمه إن لم يكونوا من أهل دينه فدل ذلك على أن النسب يحتاج إلى الولاية التي يقع بها المورثة بين المتناسبين وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد

---

(١) سورة التوبة : آية ٧١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٩٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب – باب تبل الرحم ببلالها حديث رقم ٥٩٩٠ عن عمرو بن العاص ﷺ ٢٢ / ١٩٩، ٢٠٠، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم حديث رقم ٣٦٦ عن عمرو بن العاص ﷺ ٣ / ١٠٩ .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٣ / ١٠٩ .

لم يكن بينهم توارث ولا ولاية [١] .

**لعمـــرك مـــا الإنســـان إلا بدينـــه ∴ فلا تترك التقوى اتكالا على النسب**

**لقـد رفـع الإسـلام سـلمان فـارس ∴ ونـع الشـرك النسـيب أبـا لهـب**

**طريق السعادة** :

إذا كان الأمر كذلك وأن الدرجات لا تنال إلا بالعمل وأن ولاية الله تعالى ونصرته مرتبطة بالتقوى فإن المسلم الحق الذى فاز بالعقل وصفاء الفكر هو الذى يشمر عن ساعد الجد ويسارع في العمل الصالح غير معتمد على آصاله أبائه وشرف أجداده موقنًا بقول الله عز وجل : **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾**[٢] فيتحقق له وعد ربه عز وجل بعد أن حقق شرطه قال تعالى : **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [٣] .

**سادساً** : **أهم ما يستفاد من الحديث** :

بعد هذه المعايشة لهذا الحديث النبوي الشريف يستفاد منه ما يلي :

١ – أن الجزاء عند الله عز وجل من جنس ما قدم العبد من عمل، فجزاء التنفيس التنفس وجزاء التفريج التفريج، والعون العون، والستر بالستر، والتيسير بالتيسير عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " أيما مؤمن أطعم مؤمن على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمن على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمن على عرى كساه الله من خضر الجنة " [١] .

---

(١) فتح البارى ٢٢ /٢٠١ .

(٢) سورة النجم : آية ٣٩.

(٣) سورة النحل : آية ٩٧ .

(١) الحديث سبق تخريجه راجع ص .

٢ – أن الإحسان إلى الخلق طريق إلى محبة الله عز وجل، وما ذكر في الحديث من تنفيس وغيره إحسان إلى الخلق ونفع، وهو طريق إلى المحبة والمودة والتماسك والترابط في المجتمع .

٣ – بشارة ووعد بإخبار الرسول ﷺ لمن كان من خلقه التنفيس عن غيره والعون والتيسير أن يختم له بخير ويموت على الإيمان والإسلام لأن غير المسلم لا يرحم في الآخرة، فلا يناله تيسير ولا عون أو تنفيس كرب وإنما ينال الثواب في الدنيا فقط .

٤ – عظيم فضل السعي في طلب العلم وأنه طريق موصل إلى الجنة .

٥ – التحذير من تطرق الرياء في طلب العلم فينبغي تصحيح النية في طلبه والإخلاص كي لا يحبط الأجر ويضيع الجهد .

٦ – طلب العون من الله تعالى والتيسير لأن الهداية بيده، ولا تكون طاعة إلا بتسهيله ولطفه، وبدون ذلك لا ينفع علم ولا غيره .

٧ – الحث على ملازمة تلاوة القرآن الكريم والاجتماع لذلك، والإقبال على تفهمه وتعلمه والعمل به .

٨ – المبادرة إلى التوبة والاستغفار والعمل الصالح قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [(١)] .

٩ – أن السعادة إنما ينالها العبد بالأعمال الصالحة لا بالأحساب والأنساب .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٢، ١٣٣ .

## الخاتمة

وبعد : فإن التعرض لدراسة الحديث النبوي وشرحه شرحًا تحليليًا هو أشرف عمل يتعاطاه الإنسان إذ أن موضوعه كلام النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وغرضه الأساسي التوصل إلى ما تضمنه المصدر الثاني من مصادر التشريع من معان جليلة وحكم بالغة ومقاصد سامية وأهداف نبيلة فإن تقدم الأمم والشعوب لا يكون إلا بالسير وراء المنهج النبوي والتزامه والاسترشاد بتعاليمه الحكيمة ونصائحه الغالية التي يكون فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشرى في الدنيا وفي الآخرة، وهذا ما فتح الله عز وجل به على في الكتابة في هذا الحديث الجامع لأنواع الخير والبر وبيان معيار التفاضل في الآخرة فإن كنت قد وفقت فلله عز وجل وحده الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وإن كان جانبني التوفيق فحسبي أننى بشر والكمال لله سبحانه، ولا أملك إلا الاستغفار وقراءة خواتيم سورة البقرة : ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[1] .

وأختم بما كان يختم به الرسول ﷺ مجلس التحديث .

عن ابن عمر ﷺ أنه كان ﷺ يختم مجلس التحديث بهذا الدعاء " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا " [2].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

**الأستاذ الدكتور / عادل محمد أحمد عبد ربه**
**أستاذ الحديث وعلومه**

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٢) الحديث أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ١ / ٥٢٨ وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الدعوات ٥ / ٤٩ .

## فهرس المراجع


١ – القرآن العظيم جل من أنزله .

٢ – الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لعلاء الدين على بن بلبان الفارسي ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

٣ – إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالي ط / عالم الكتب .

٤ – أسد الغابة في معرفة الصحابة لعلى بن محمد الجزري بن الأثير ط / دار الكتب العلمية بيروت / لبنان .

٥ – الأدب المفرد لإمام محمد بن إسماعيل البخاري ط / دار الغد العربي

٦ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ط / دار الغد العربي .

٧ – تاريخ الثقات لأحمد بن عبد الله العجلى ط / دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٨ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبى العلاء محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفورى ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٩ – تذكرة الحفاظ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ط / دار الكتب العلمية بيروت .

١٠ – تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم لبدر الدين إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة ط / المؤتمن للتوزيع والنشر .

١١ – تفسير القرآن العظيم للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ط / دار مصر .

١٢ – تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن على حجر العسقلاني ط / دار المعرفة بيروت / لبنان .

١٣ – تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ط / دار صادر بيروت / لبنان .
١٤ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبى الحجاج يوسف المزى بتحقيق بشار عواد معروف ط / مؤسسة الرسالة .
١٥ – التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ط / مصورة دار الكتب العلمية بيروت لطبعة الهند .
١٦ – الترغيب والترهيب لأبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ط / وزارة الأوقاف المصرية .
١٧ – التعيين في شرح الأربعين لنجم الدين سليمان بن عبد القوى الطوقي ط / مؤسسة الرسالة .
١٨ – جامع البيان في تأويل أي القرآن بي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق أحمد شاكر، محمود شاكر ط / دار المعارف مصر .
١٩ – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي ط / دار السلام .
٢٠ – الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى تحقيق عبد الرحمن المعلمى ط / مصورة دار الفكر بيروت لطبعة الهند .
٢١ – دراسات في علوم الحديث أ . د / عجمي دمنهوري خليفة ط / دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
٢٢ – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي الشافعي ط / دار الكتاب العربي بيروت – لبنان .
٢٣ – سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ط / دار الحديث – ط / دار الريان .

٢٤ – سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ط / دار الكتب العلمية بيروت .
٢٥ – سنن النسائية أحمد بن شعيب النسائي ط / دار الريان للتراث .
٢٦ – سنن ابن ماجه محمد بن ماجة القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
٢٧ – سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ط / مؤسسة الرسالة .
٢٨ – شرح الأربعين لأبى زكريا يحيى بن شرف الدين النووي ط / دار عمر ابن الخطاب الإسكندرية .
٢٩ – شعب الإيمان للبيهقي أحمد بن الحسين البيهقي بتحقيق أبس هاجر محمد السيد ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
٣٠ – شرح النووي على صحيح الإمام مسلم ط / مؤسسة قرطبة .
٣١ – صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ( بشرح فتح الباري ) ط / السلفية .
٣٢ – صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورية ( بشرح النووي ) ط / مؤسسة قرطبة .
٣٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ط / دار المعرفة .
٣٤ – فتح المنعم شرح صحيح مسلم أ . د / موسى شاهين لاشين ط / دار الشروق .
٣٥ – الفتح المبين لشرح الأربعين لأحمد بن حجر الهيتمى ط / دار إحياء التراث الكتب العربية عيسى البابي الحلبى .

٣٦ – اللباب في البر والصلة والآداب أ. د / عجمي دمنهوري خليفة ط / دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
٣٧ – لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ط / مصورة عن مطبعة بولاق، ط / دار إحياء التراق العربي .
٣٨ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمي ط / دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .
٣٩ – مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة لأحمد بن أبى بكر البوصيري تحقيق أ . د / عزت على عطية ط/ دار الكتب الحديثة .
٤٠ – المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله محمد النيسابوري ط / مكتبة النصر الحديثة الرياض .
٤١ – المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ط / المكتب الإسلامي .
٤٢ – المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني ط دار الحرمين بالقاهرة .
٤٣ – المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني ط / دار الفكر بيروت، مكتبي المثنى .
٤٤ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم لأبى عبد الله بن محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ط / دار الكتب العلمية بيروت .
٤٥ – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط / دار المعرفة بيروت
٤٦ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للحافظ أبى العباس القرطبي ط / دار ابن كثير .
٤٧ – الموطأ للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ط / دار الحلبى .
٤٨ – النهاية في غريب الحديث والأثر لأبى السعادات مجد الدين بن الأثير تحقيق محمد محمود الطناحي ط، المكتبة العلمية بيروت .
٤٩ – وقفات مفيدة أمام توجيهات نبوية سديدة أ . / أحمد محرم الشيخ ناجى ط / الرابعة مطبعة الصفا والمروة بأسيوط .

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ١٢٩٠ |
| نص الحديث | ١٢٩٥ |
| بين يدى الحديث | ١٢٩٥ |
| تخريج الحديث | ١٢٩٥ |
| شواهد الحديث | ١٢٩٨ |
| التعريف برجال الحديث | ١٢٩٩ |
| اعتراض بعض الحفاظ على الإمام مسلم والجواب عليه | ١٣٠٧ |
| المعنى العام للحديث | ١٣٠٩ |
| المباحث العربية | ١٣١٤ |
| الشرح والبيان | ١٣٢٣ |
| فضل تفريج الكربة | ١٣٢٣ |
| التيسير على المعسر | ١٣٣٠ |
| الستر على المسلم | ١٣٣٤ |
| عون الله عز وجل للعبد الذى يعاون أخاه | ١٣٤٠ |
| الحث على طلب العلم وبيان أنه طريق إلى الجنة | ١٣٤٣ |
| فضل الاجتماع لتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل | ١٣٦٦ |
| الأعمال الصالحة هي معيار التفاضل | ١٣٧٨ |
| أهم ما يستفاد من الحديث | ١٣٨٢ |
| الخاتمة | ١٣٨٤ |
| فهرس المراجع | ١٣٨٥ |
| فهرس الموضوعات | ١٣٨٩ |